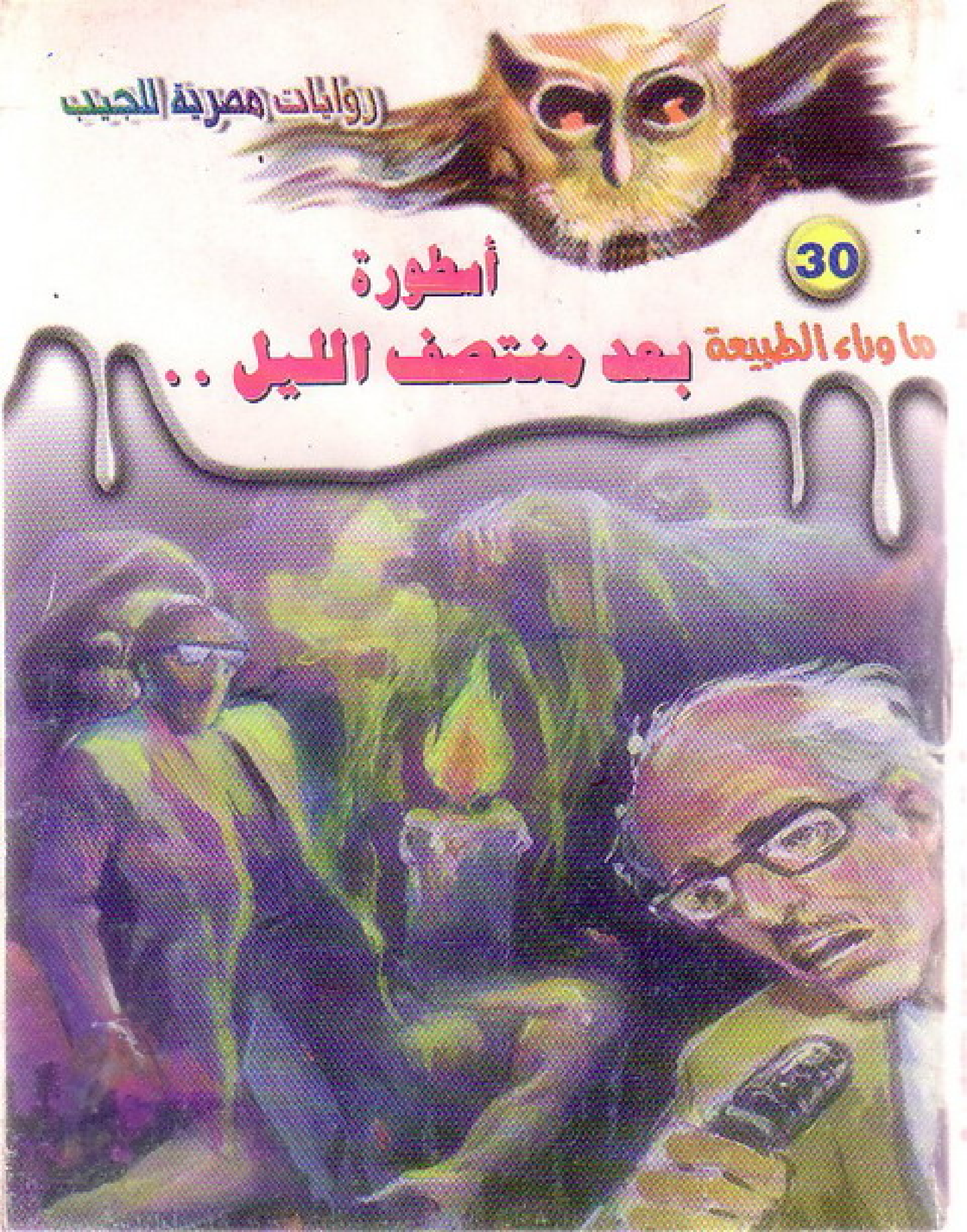

روايات مصرية للجيب
30
أسطورة
ما وراء الطبيعة
بعد منتصف الليل ..

لقد أرحتكم منى – إلى حد ما – ثمانية أعداد كاملة .. منذ أن زار (المينوتور) فى متاهته .. وحتى هلك (الجاثوم) فى مخبئه ..

البعض لم يحبَ هذه الإجازة .. والبعض أحبها ..

لكنى – كما قلت مرارًا – أزور غبًا لأزداد حبًا ..

وخير لى أن يقال لماذا لا يكتب ؟ من أن يقال : لماذا يكتب ؟

سأعود لكم من جديد .. وعسى أن يكون قرارًا صائبًا ..

لكنى سأكرر موضوع الخطابات هذا كلما تراكمت عندى ..

إن الجدة والتشويق هما غرض السلسلة ، ولا دخل لشخص معين بهذا الغرض .. وإلا لصار اسم السلسلة (مذكرات رفعت) أو (أبو الرفاع يحدثكم) ....

القصة القادمة هى عدد خاص جدًا .. إن حلقة الرعب الثالثة توشك على البدء .. فهل جميعكم هنا ؟

لا بأس .. فى هذه المرة لن أحكى شيئًا .. بل سأستعمل شريط تسجيل قديمًا عندى .. يعود إلى العام ١٩٦٩ و ١٩٧٠

ومعًا سنستمع إلى حلقات مختارة من برنامجكم .. (بعد منتصف الليل) ...

الصفحات التالية هى تفريغ لحلقات مختارة من البرنامج الإذاعى (بعد منتصف الليل) ، الذى كان يُذاع فى الواحدة صباحًا أسبوعيًا ، ونال شعبية كبيرة فى عامى ١٩٦٩ و ١٩٧٠ ، ثم منعت الرقابة إذاعته بسبب تأثيره السلبى على نفسية الأطفال .

مقدمة البرنامج الثابتة

صوت صرير باب ينفتح ببطء ..

ثم صرخة امرأة ..

بعدها تبدأ موسيقا فاخرة متوجسة ..

ويدوى صوت المذيع هادرًا بلهجة منذرة :

بعد منتصف الليل

عزيزى المستمع ..

هل لديك خبرة مخيفة بعالم ما وراء الطبيعة ؟ هل هناك خطر معين يطاردك ؟ هل ترى أشياء مريبة لايمكن تفسيرها ؟ لاتتردد .. ارفع سماعة الهاتف واطلب رقمنا فورًا .. سنصغى إليك .. ونحاول حل مشكلتك وإزالة مخاوفك .. مع ضيفنا الدكتور (رفعت إسماعيل) ..

عزيزى المستمع .. أنت لست وحدك !

(تتعالى الموسيقا من جديد .. ويبدأ ذكر أسماء الفنيين) .

تقديم : شريف السعدنى

الهندسة الإذاعية : أسامة نجم .

إخراج : جلال القصاص .

(أخيرًا تخفت الموسيقا وتبدأ الحلقة) ...

* * *

بعد منتصف الليل

(صوت ضحكة .. ثم صوت [ششش !] يمنع صاحب الضحكة من الاسترسال) .

شريف :

أعزائى المستمعين .. يسعدنى أن ألتقى معكم فى هذه الساعة المبكرة من صباح الجمعة .. أعرف أن أكثركم يقاوم النعاس الآن إن لم يكن قد نام فعلاً .. لكنى أعدكم بأنكم ستفتحون عيونكم إلى أقصى اتساع لها .. فهذا البرنامج يتحدث عن كل ما هو غريب وغير مألوف .. وله مزية أخرى مهمة هى أنكم أنتم من يصنعون الإثارة والطرافة .. إن قصصكم هى وقود آلة الرعب التى لن تكف عن العمل من الآن فصاعدًا ..

يسرنى أن أقدم لكم ضيفًا دائمًا لهذا البرنامج .. د(رفعت إسماعيل) الذى بدأ يحرز شهرة لا بأس بها بعد ما كتب وقيل عن خبراته فى عالم ما وراء الطبيعة .. مرحبًا بك يا دكتور ..

رفعت :

مرحبًا بك يا (شريف) ..

شريف :

أرجو ألا نكون قد أثقلنا عليك بالسهر إلى هذه الساعة ؟

رفعت :

إننى وطواط آدمى لا ينتعش إلا ليلاً .. والليل على كل حال مناسب تمامًا لما ننوى التحدث عنه .. ثم إن له مزية أخرى .. من المؤكد أن الأطفال جميعًا قد ناموا ..

شريف :

بعضهم لم يفعل ..

رفعت :

هذا البعض لا يمكن إفزاعه على كل حال .. فهو مرعب بما يكفى ..

شريف :

(يضحك فى مجاملة) .. هاها ! يقولون يا دكتور إنك لا تترك سرًا غامضًا أو مرعبًا إلا وتقحم نفسك فيه إقحامًا .

رفعت :

أعترف بأننى لا أتعمد البحث عن المتاعب .. يقول

الشاعر الألمانى (فلهلم بوشه) : لا أحد يشترى الفئران .. الفئران تهرع من تلقاء نفسها إلى دارك !

لقد حاولت دومًا أن أكون شخصًا عاديًا كالآخرين لكنى فشلت .. أعتقد أننى مصاب بنوع خاص من النحس ..

شريف :

وهل حقًا تعتبر نفسك هادمًا للأساطير ؟

رفعت :

لا أظن .. كنت أعتبر نفسي كذلك يومًا ما .. ثم بدأت أوقن أننى لا أعرف شيئًا عن أى شىء .. إن الحياة غامضة حقًا .. والتجريب هو المقياس الوحيد لمعرفة كنه أسطورة ما .. لكنى ..

شريف (مقاطعًا) :

حتى لو كانت الأسطورة ؟

رفعت (فى ضيق) :

ـ لا تقاطعنى .. لكنى لم أصادف حتى اليوم أسطورة تصطدم بالدين وتثبت صحتها .. قد تصطدم بالعلم وهذا يحتمل الجدال .. لكنها لا تصطدم بالدين أبدًا إلا واتضح أنها أكذوبة ...

شريف :

ما هو فى رأيك الهدف المرتقب من برنامجنا هذا ؟

رفعت :

لا هدف سوى أن أحصل أنا على مكافأة حضورى هنا .. وتحصل أنت على راتبك .. إنه هدف لا بأس به أبدًا .. لكن ـ إذا حاولنا أن نتناسى الماديات ـ فإنه يوجد هدف مرموق فى حد ذاته هو أن نشعر بالرعب ..

شريف :

هلا أوضحت لنا هذه النقطة بشكل مفصل ؟ ما هى جدوى أن نخاف ؟

رفعت :

يقول مخرج أفلام رعب شهير : إننا نحب أن نجرب أسوأ الأشياء على الإطلاق .. حتى إذا انتهى العرض شعرنا بسرور عارم لأننا مازلنا أحياء وبصحة جيدة .. فهذا يشعرنا بالتفوق وقدرتنا على الاستمرار ...

شريف :

أعترف بأنها نظرية عسيرة التصور ..

رفعت :

يسمون المبدأ كله باسم Catharsis أو (تطهير) ..

فأنت حين ترى الرعب تغسل من مخاوفك الداخلية الكامنة .. والأمر على كل حال لا يخلو من صدق .. فكل الأطفال يعشقون قصص (الغولة) وثرثرة الأمهات عن (العاو) .. أفلام الرعب تحقق أعلى الإيرادات .. وبيت الأشباح فى مدينة الملاهى مكتظ دائمًا .. بل إننى أرى هذا الميل فى أشياء بسيطة .. فى زحام المتزاحمين حول حادث سيارة .. وفى كل من المتجمهرين نزعة ماسوشية خفية لتعذيب النفس برؤية مشهد الضحايا المشوهين .. بعدها يعود كل منهم إلى داره وقد تم تطهيره(*) !

شريف :

وهل تختلف ميول الجمهور حسب المتغيرات الاجتماعية ؟

رفعت :

يقال إن خوف أمريكا من الغزو الشيوعى فى الخمسينات ـ الفترة التى يسمونها بـ (المكارثية) ـ أدت لانتشار قصص الغزو الخارجى والاستحواذ

(*) راجع الكتيب العاشر (حلقة الرعب) حيث مناقشة أكثر تفصيلاً عن عشق الرعب ..

الشيطانى وتيمة (هل أمك هى أمك حقًا ؟) .. إنها تيمة شهيرة ومفزعة .. والمعنى واضح : هل يأتى يوم يتحول فيه جيرانك وأهلك إلى شيوعيين ؟

شريف :

هل تعنى أن صناع هذه القصص كانوا يريدون قول هذا ؟

رفعت :

لا بالطبع .. لقد قالوا هذا دون أن يعنوه .. لقد تحركوا لا شعوريًا فى تيار الوجدان المحرك للمجتمع .. وقدموا أعمالاً فنية تكلمت تلقائيًا .. إن الشيوعيين خطر داهم على المجتمع الأمريكى .. لكنهم ـ وهذا المخيف ـ يبدون مثلنا بالضبط ....

شريف :

هل ثمة أمثلة أخرى ؟

رفعت :

يقولون ـ مثلاً ـ إن قصص مصاصى الدماء تنتشر حين يسود الرخاء والاستقرار الاجتماعى .. فى حين تسود قصص (الزومبى) و (المذءوبين) فترات القلاقل والتضخم والثورات .. إن مصاصى الدماء فى القصص يكونون متأنقين أثرياء وراقين إلى حد كبير ..

أما المذءوب فهو رمز للطبقة العاملة المطحونة ..
وكذلك الزومبى هو فى وضع اجتماعى أكثر سوءًا ..
قصص الأشباح تزدهر كلما ازداد الواقع ضيقًا وبؤسًا .. فهى وسيلة لا بأس بها للفرار من الواقع ..

شريف :

هل الرعب هو فقط مصاصو الدماء والمذءوبون والأشباح والبيوت المسكونة ؟

رفعت :

بالطبع لا .. إن الخيال الإنسانى وغد لا يهمد أبدًا .. وحيث يوجد خيال يوجد خوف .. والرعب يبدأ معنا منذ ميلادنا .. هل تذكر جولة المعلم بين الصفوف فى المدرسة الابتدائية ليختار طلبة عشوائيين ، يسألهم سؤالاً عسيرًا ؟ العصا فى يده .. وخطواته تدنو منك .. وأنت تحاول ألا تنظر نحوه حتى لا يراك .. إنه يدنو .. قلبك يوشك على التوقف .. وفجأة تشعر بيده الغليظة على كتفك .. وصوته الصارم يقول : والآن لنر ما سيجيب به هذا الحمار !!

شريف :

يا للهول يا د. (رفعت) ! إنك قد أعدت لى الرعب من جديد !

رفعت :

هكذا ترى أن الرعب ليس هو بالضرورة المومياوات العائدة للحياة ..

شريف :

أنا أتحدث عن الرعب الميتافيزيقى أساسًا ..

رفعت :

حتى هذا الرعب له أبواب لا تنتهى .. أبسطها ما تشعر به حين تعود لدارك - وأنت تعيش وحيدًا - لتجد أن جهاز التلفزيون مفتوح أنت تعرف جيدًا أنك أغلقته قبل خروجك ! عندها تشعر بهذه الرجفة الغامضة .. وتغمغم فى قلق : ثمة شىء ما يحدث هنا !

شريف (فى قلق) :

الواقع أننى مستمتع بهذا الحديث .. لكننا بانتظار المكالمة الهاتفية الأولى .. ولا أدرى لماذا تأخرت إلى هذا الحد ؟ إن المستمعين لم يألفوا البرنامج بعد ، لكنهم سيتسابقون بعد قليل على الاتصال .. ثق بهذا ...

رفعت (فى استرخاء) :

أنا لست قلقًا .. مادمت سأنال أجرى فى جميع الظروف ..

شريف :

دعنى أسألك يا د. (رفعت) .. يقولون إنك إنسان

ملول حقًا .. وتكره الإصغاء إلى ثرثرة الناس .. فكيف قبلت أن تأتى معى ها هنا ؟

رفعت (يضحك) :

أنا كما قلت .. لكنى وجدت فيك أشياء كثيرة أفتقر إليها يا (شريف) .. فأنت شاب ووسيم .. ولامع .. إنك ذلك الشاب الذى كنا نراه مرسومًا فى كتب القراءة القديمة ،بنظافته وشعره المصفف وأظفاره المقلمة وجلوسه معتدل الظهر على (القمطرة) .. ثم إنك متحمس .. وأنا لا أفهم كيف يتحمس الناس لأى شىء .. لهذا كان أقوى منى أن أرفض عرضك .. فأنت مخلوق جدير بدراسته كخلد الماء وذبابة (تسى تسى) ..

شريف :

لا أدرى أهذا مديح أم سباب أقاضيك عليه .. لكنى أشكرك على كل حال .. بالمناسبة : ما هى (القِمطَرة) ؟

رفعت :

يبدو أنه المكتب .. كانت كتب القراءة القديمة تحتم أن (تضع الحلة فوق المشجب) و (تضع القرطاس فوق القمطرة) .. ثم (تتبلَغ ببعض الخشنكان) .. أى تأكل البسكويت !

شريف :

لا أدرى .. هل ستكون الحلقة الأولى كلها حوارًا بيننا ؟ إننى أنتظر المكالمة الأولى بفارغ الصبر ، وأعتقد أنها لن تأتى اليوم .. ربما ....

(صوت رنين الجرس الملحّ) .

لحسن الحظ ! الحمد لله على أن هناك واحدًا ساهرًا فى الجمهورية .. آلوه ؟

صوت فظ :

ـ لقد فعلتها !

شريف :

فعلت ماذا بالضبط ؟

الصوت :

كل ما أمرت به ! كان صراخهم شنيعًا لكنى لم أرحمهم !

شريف لـ (رفعت) :

تبدو بداية طيبة حقًا .. مارأيك ؟

رفعت (فى ملل) :

إننى لشديد الحماس .. لكنى لا أعرف كيف أظهر حماسى ..

شريف :

هلاً عرفنا من المتكلم من فضلك ؟

الصوت :

كيف ؟ ألا تعرفنى يا (جودة) ؟

شريف فى (امتعاض) :

(جودة) ؟

الصوت :

أنا الحاج (ششماوى) .. لقد كسبت القضية .. ولن أتنازل عن حقى مهما حدث .. كما أمرتنى بالضبط .. إن الحلوان عندى .. فقطعة الأرض هذه ....

شريف :

لحظة .. لحظة .. يا حاج (ششماوى) ! الرقم خطأ .. هذا رقم الإذاعة .. إننا ....

الحاج :

معذرة .. فصوتك هو صوت (جودة) بالضبط .. كليك !

شريف (فى خيبة أمل) :

ظننت أننا سنبدأ العمل .. ليست قضايا الأراضى ملائمة لهذا البرنامج .

رفعت :

كل يبكى على ليلاه .. وبالتأكيد يتساءل الرجل عن سر بقاء هذا المجنون ساهرًا بعد منتصف الليل مادام ليس هو (جودة) ..

(رنين الهاتف من جديد) ..

شريف :

عسى ألا يكون هو من جديد .. آلو .. برنامج (بعد منتصف الليل) .. هل تريد سرد مشكلتك للدكتور (رفعت إسماعيل) ؟

صوت طفل :

أمس جاءت طانط (نانى) عندنا .. وكان (ميدو) معها !

شريف (فى رقة مصطنعة) :

من تريد يا صغيرى ؟

الطفل :

لقد سرق (ميدو) مسدسى .. لكنى ركلته فى مؤخرته ..

شريف :

آلو ! ضع السماعة حالاً أيها الطفل المتش.... يا صغيرى العزيز !

صوت امرأة :

معذرة يا أستاذ .. عيب يا (زيزو) ! معذرة يا أستاذ .. فابنى لا يأكل إلا إذا تركت له الهاتف ليعاكس من يريد .. ويختار أرقامًا عشوائية !

شريف :

لا عليك .. إنه يملك حاسة إعلامية لا بأس بها ..

(كليك) ..

رفعت :

ربما كان تركه ليموت جوعًا حلاً أكثر إغراءً .. إن بعض الأطفال يكونون مرعبين أكثر من كل ما تنوى الكلام عنه ..

شريف (فى ضيق) :

مكالمتان خاطئتان ! إن هذا يفوق قوانين المصادفة ..

رفعت :

لا شيء يتم بسهولة معى أبدًا .. ولعل كونى أتوقع الأسوأ دائمًا قد جعل الحياة بالنسبة لى حشدًا من المفاجآت السارة ! فالأمور لم تكن بهذا السوء الذى حسبتها به قط ..

(رنين جرس الهاتف) ..

شريف (متوجسًا) :

هذه المرة .. هذه المرة .. لو لم يكن مستمعًا فلسوف تنهار أعصابى .. آلو ! من يتحدث ؟

صوت امرأة :

أنا (نهلة) .. أليس هذا برنامج (بعد منتصف الليل) ؟

شريف (يتنهد) :

بالتأكيد يا سيدتى ..

نهلة :

أحاول الاتصال منذ عشر دقائق كاملة دون جدوى ..

شريف :

كانت هناك مكالمتان قبلك كما تعلمين .. لا بد أن المذياع جوارك ؟

نهلة :

للأسف لا .. هل د.(رفعت) معك ؟ أخبرنى البواب أنه هنا ..

شريف :

حتمًا .. إنه يسمع ما تقولين ..

نهلة :

قل له إنه نسى صنبور الماء مفتوحًا ، وأغرقت المياه شقته ! لقد اضطررنا إلى تهشيم باب الشقة .. أنا زوجة الأستاذ (زكريا) ساكن الشقة السفلى .. كليك !

شريف (فى نفاد صبر) .

هل ترى أن تذهب لتنقذ سجادة الصالون ؟

رفعت :

لا داعى .. لقد فات الأوان .. وهم قد اقتحموا الشقة

لإغلاق الصنبور .. فلا فائدة من إفساد البرنامج ..

شريف :

يخيل إلىّ أنه قد فسد بالفعل .. إن النحـ ....

(رنين جرس الهاتف) ..

آلو ! من معى ؟

صوت امرأة :

هل هذا هو برنامج (بعد منتصف الليل) ؟

شريف :

حتمًا يا سيدتى .. هل لى أن أعرف من أنت ؟

المرأة :

لا أنوى الإفصاح عن ذلك .. إن اسمى لا يعنى أحدًا سواى .. وعلى كل حال يمكننى أن أحكى قصتى مباشرة ...

شريف :

كلىّ آذان مصغية .. وضيفنا كذلك ....

المرأة :

حسن .. تبدأ القصة كما يلى ....

* * *



الحلقة الأولى

الزوج الذى عاد

تحكيها : مجهولة الاسم

الحلقة الأولى

الزوج الذى عاد

تحكيها مجهولة الاسم

« لقد ارتكبنا خطأ جسيمًا يا سيدتى .. خطأ من النوع الذى لا يكفى الندم لإصلاحه .. خطأ لا يكفى إغلاق نوافذنا وأبوابنا ليلاً كى نتفادى عواقبه ! »

المرأة :

أصارحك القول يا أستاذ (شريف) إننى خائفة ..

شريف :

أرجو أن تتجاهلى وجودى وتوجهى الحديث إلى د. (رفعت) مباشرة .

المرأة :

حسن .. أنا خائفة يا د. (رفعت) .. إنه ذلك الخوف الذى لا يوجد مصدر عقلانى له .. فحينما تخشى الفئران تربى قطًا .. وحينما تخشى اللصوص تغلق نوافذك أو ترخص مسدسًا .. لكن حينما يكون خوفك غير ذى وجود مادى يكون اجتنابه شبه مستحيل ..

رفعت :

أفهم تمامًا ما تقولين يا سيدتى .. إن الخوف من الغد مثلاً لا حلّ له ..

المرأة :

هكذا أنت تفهمنى .. والآن أحدثك عن نفسى بشكل أفضل .. أنا امرأة فى الأربعين من عمرى حاصلة على شهادة متوسطة .. ومتزوجة منذ عشر سنوات .. لكنى لم أرزق أطفالاً ..

رفعت :

يبدو لى أسلوبك فى الكلام مثقفا .. إنك تعرفين جيدًا ما تتحدثين عنه ..

المرأة :

لأننى علمت نفسى بنفسى .. ولا تنس أن (العقاد) لم تكن معه شهادات سوى الابتدائية .. إن التعليم يختلف كثيرًا عن الثقافة .. والذكاء يختلف كثيرًا عن كليهما ..

لقد تزوجت فى الثلاثين من عمرى .. كان علىَّ أن أعنى بأمى وشقيقاتى ..

إنها تلك القصة المكررة دائمًا : الأم العجوز لا تكف عن نصح ابنتها بالزواج (لكى أطمئن عليك يا بنيتى قبل أن أموت) .. والفتاة تقول فى إباء وشمم ممزوجين بلذة استشهاد لاشك فيها :

(لا أريد الزواج يا أمى .. فلا ينقصنى شىء) .. لكنها تعرف أن أمها تعرف أنها لا تعنى ما تقول .. وأنها قلقة .. وأنها تشعر بشمعة العمر إذ تحترق ..

إن البنات لا يقلقن على تأخر زواجهن بسبب حاجة فسيولوجية معينة أو خوفهن من العنوسة أو شوقهن للأمومة .. أعتقد أنهن يقلقن لسبب واحد

يا د. (رفعت) .. هو رؤيتهن لصديقاتهن يتزوجن واحدة تلو الأخرى ..

هل تعرف ذلك الشعور الممض ؟ لحظة استلام بطاقتك من السجل المدنى أو استعادة كراستك فى المدرسة الابتدائية ؟ الصوت ينادى واحدة تلو الأخرى .. الكل يسترد أوراقه .. تدريجيًا تجد نفسك واقفًا وحدك بانتظار من يناديك بدورك .. ذلك القلق الرهيب والشعور بأنك قد سقطت سهوًا من فوق مائدة الحظ .. وأن أحدًا لن يبحث عنك تحتها !

هل تفهمنى ؟ لكم من حفل زفاف حضرت ! وكم من صديقة فارقت .. كأننى أشيع جنازتها وأعود منهكة من قبرها .. لكن عزائى الوحيد كان دائمًا هو أننى اخترت ذلك بمحض إرادتى ..

وفى الصباح كنت أعمل سكرتيرة براتب ضئيل فى مكتب حكومى .. حيث لا أفعل أى شىء ولا أنال أى أجر على هذا (اللاشىء) ..

وفى المساء كان البيت ولا شىء سواه .. أعمال البيت والمذاكرة لأختى .. و (قزقزة) اللب على الأريكة أمام شاشة التلفزيون جوار أمى ...

وغدًا يوم آخر ... ليس أكثر مللاً ولا أقل ..

ثم ظهر الحاجّ (صبحى) ..

إن الاسم مزيفَ طبعًا ..

رجل فى الخمسين من عمره طبعًا .. تاجر يكسب كثيرًا دون أن يكلفه الأمر سوى بعض المكالمات الهاتفية والشجار بصوت عال .. ويبدو أنه بدأ حياته مع هؤلاء الذين يزايدون فى المزادات دون نيةَ شراء حقيقية .. ومن ثمَّ يبادر الخصوم إلى دفع حلوان له كى يتركهم وشأنهم ... أردت أن أقول لك إنه قادر على المتاجرة بكل شىء وأى شىء ..

رآنى الحاج – الذى لم يتزوج بعد لانهماكه فى الإثراء – فى أثناء زيارته لمكتبنا الحكومى .. هنا يجب أن اعترف لك يا د. (رفعت) بأننى لست قبيحة .. إننى من النوع الذى يصفونه فى إعلانات الزواج بـ(سمراء ملفوفة القوام حاصلة على مؤهل متوسط ، وتقدس الحياة الزوجية) ..

رفعت :

أعرف هذا السخف .. ولا أدرى كيف يكتب رجل محترم عن نفسه أنه (أبيض اللون مثقف) ؟!

المرأة :

كان لا بد أن يقع الرجل فى هواى .. كلهم يفعلون هذا ثم يحجمون .. كانوا فى البداية يحجمون لأنهم يعرفون أننى سأرفض .. ثم صاروا يحجمون لأنهم لا يعرفون سر عدم زواج فتاة لا بأس بها حتى سن الثلاثين .. لكن الحاجّ كان يعرف ما يريد بالضبط ..

ولم ألبث أن وجدته فى صالون دارنا المتواضع .. ولم يكن سيئًا إلى هذا الحدّ .. فهو لا يرتدى جلبابًا أو يبصق على السجادة على الأقل .. كما أنه لم يكن يستعمل السباب أكثر من اللازم .. لم يكن يبدو كفرسان الأحلام طبعًا .. ولم يكن يركب حصانًا أبيض لكنه يركب سيارة فاخرة .. ثم .. أنت تعرف كيف تتم أمور كهذه .. يسمونه (النصيب) .. وأنا لا أجد اسمًا أفضل للحظة تخلى الفتاة عن إصرارها على الرفض .. لا بد من لحظة ما .. ولا بد من شخص ما يكون موجودًا فى هذه اللحظة .. هذا هو نصيب الفتاة ..

شريف :

معذرة على مقاطعتى إياك .. لكن لو كنت تظنين

هـذا برنـامج (رسـالة)(*) الخـاص بالمشـكلات الاجتماعية فنحن ......

رفعت :

دعها تتكلم يا (شريف) .. إنها تضعنا فى الجو .. ولا أعتقد أنك ستجد من يبدأ مكالمته قائلا : إن هناك مصاص دماء فى حمام شقتى ..

المرأة :

ربما أطلت الكلام .. وإننى لأعتذر .. المهم أننا تزوجنا .. وأننا عشنا حياة لا بأس بها أبدًا .. لم يبخل بشىء وبرّ بوعده فى رعاية إخوتى ووالدتى .. فقط لم يرزقنا الله بأطفال ..

وككل رجل شرقى أبى كبرياؤه أن يسمح له بإجراء الفحوص اللازمة ، وكنت أنا الضحية التى يمكن إرغامها على إجراء كل شىء عرفه الطب ولم يعرفه ..

صرت فأر تجارب لا يمرّ على يوم دون إجراء نفخ أنابيب أو أشعة على الرحم أو .. أو ....

بدأ يتحدث عن الزواج من جديد .. بدأ يتحدث عن

(*) برنامج (رسالة) هو الجد الشرعى لبرنامج (أريد حلاً) الحالى ..

قطار العمر الذى يجرى دون طفل يحمل اسـمه (كأنه اسم طارق بن زياد) .. بدأ يتحدث عن حاجة المرء إلى ابن يقف إلى جواره فى شيخوخته ليتهمه بالعقوق ..

وكانت أمى هناك ...

وبالطبع كانت لنا زيارات عدة إلى ألعن مجموعة من النصابين ذوى (السرّ الباتع) إياهم .. كلهم ملتحون يجلسون فى قاعة يفعم البخور هواءها .. وكلهم يتحدثون عن (عمل) مدفون على عتبة دارى أو فى حشية فراشى أو فى مقبرة ما .. مبالغ طائلة حصلوا عليها منى دون جدوى ..

وبدأ نفور زوجى يزداد .. مأمورياته وصفقاته التى تستدعى السفر تتزايد ولم أكن بحاجة لذكاء كبير كى أعرف أنه ـ غالبًا ـ قد تزوج ..

ماذا أفعل ؟ لا شىء .. إن البكاء صامتة فى دورة المياه لهو العلاج الحاسم للمقهورين وغير القادرين على الإيذاء أو اتخاذ ردّ فعل إيجابى .. وعلى كل حال لم يغير معاملته المادية الشريفة لى ..

ثم جاء اليوم الموعود ...

رفعت :

يبدو أن القصة ستبدأ هنا ..

المرأة :

كنت أعرف أنه يمر بمشاكل مادية طاحنة .. يبدو أن مشاكله الأسرية قد جعلت حاسة الكسب عنده أقل رهافة .. وقد خسر كثيرًا جدًا فى فترة قصيرة حتى إننى سمعته ينهنه فى دورة المياه ذات ليلة .. فعلمت أن هذه الدورة تحولت إلى نوع من (حائط المبكى) لكل أفراد الدار ..

كان عصاميًا .. ولأنه عصامى كان ينفر من مصارحة امرأته بشىء .. ولم يكن يطلب رأى أحد أو عون أحد .. لم يكن يثق سوى برأيه هو ...

وبعد أسبوع واحد سافر إلى الإسكندرية ..

كان هذا هو اليوم الأخير له على ظهر الأرض ..

لم يجدوه فى أى مكان .. كانت بذلته على الرمال .. وقال أكثر من شاهد أنهم رأوا رجلاً يجتاز المياه فى الظلام برغم الأمواج العاتية .. واجتاز البراميل غير عابئ بصرخات المنذرين .. بعدها لم يروه ثانية .. وعاد لى أحدهم بالبذلة .. و .. (تهانف) .. إهئ !

رفعت :

أ .. حسن .. هل ترين أن نرجئ المكالمة إلى أن ؟ إن دموع الأنثى هذه ....

المرأة (تسترد أنفاسها) :

لا .. لا .. لا داعى .. لقد وجدوا خطابًا فى جيب البذلة يخبرهم من هو ويقول : إغفرى لى يا (....) فقد فاضت بى الديون .. أعلم أننى أترك لك عبئًا مهولاً أعانك الله عليه .. اتصلى بالمحامى وهو سيخرجك من هذه الورطة ..

وبعد ما تلقيت العزاء واكتشفت أننى أبدو فاتنة فى الثياب السوداء ؛ وبعدما عدت إلى بيت أمى ـ كالعملة الزائفة ـ اتصلت بالمحامى ، وكان رأيه قاطعًا بخصوص بيع منزل زوجى .. لكن المشكلة كانت أكبر مما تصورت .. فأملاك زوجى لا يمكن حصرها .. ومن المستحيل أن أعرف ما آل إلىّ بالوراثة وما آل لزوجته الأخرى إن وجدت ..

وقضيت والمحامى ساعات سوداء تنقب فى أوراق زوجى الفقيد ، وفى مكتبه بوسط المدينة ..

إن عقلى غير معدّ لأشياء كهذه .. ولم أتصور قط أن كل هذه العقود وكل الشروط الجزائية وكراسات

الشروط يمكن أن توجد فى مكان واحد .. وعلىّ أنا بالذات أن أجد دربى وسط كل هذا ..

لهذا تحولت إلى طفلة مذعورة ترمق بابا المحامى فى لهفة وانبهار .. إن الرجل الذى يفهم هذه الأشياء لهو رجل قادر على كل شىء ..

لكن المحامى لم يكن كلىّ القدرة كما ظننت ..

قال لى متعبًا وهو ينزع عويناته :

ـ لا شىء .. إن أهم الأوراق غير موجود هنا .. »

ـ « والحل ؟ »

ـ « هل تعرفين له مقرًا آخر ؟ »

ـ « لا .. إلا إذا ... »

وفكرت فى زوجته الأخرى لو كانت هناك واحدة .. ربما كانت الأوراق عندها .. ولكن أين هى ؟ ومن هى ؟ لماذا لم تظهر حتى هذه اللحظة ؟

ظللت أبحث شهورًا عن بصيص من نور دون جدوى .. زرت قريته ونمت فى غرفته لأفتشها بدقة .. ليس الأمر طمعًا منى .. بل هو محاولة للفرار من الديون التى كبلنى بها والتى لم يكف ثمن المنزل لسدادها .. كل ما وجدته لدى زوجى لا يكفى لسداد ربع ديونه ..

وأسقط فى يدى ..

لماذا لم يكتب كل شىء بالتفصيل فى رسالة الانتحار هذه ؟

شريف :

واضح أنه كان يحسب المحامى يعرف ..

المرأة :

الله أعلم .. وربما هو يعابثنى على سبيل دعابة قاسية أخيرة .. ربما كان فى قبره بأعماق البحر يضحك هازئًا منى ..

المهم أن المحامى جاءنى بعد شهرين وقدم لى فكرة غير عادية ..

رفعت :

تحضير الأرواح طبعًا !

المرأة :

كـ .. كيف عرفت ؟

رفعت :

القصة هكذا دائمًا !

المرأة :

إنك لشخص مخيف ..

رفعت :

بل الحياة هى النمطية أكثر من اللازم .. لنعد لموضوعنا ..

المرأة :

كان المحامى يعرف رجلاً من جمعية الأرواح المصرية .. قال لى إنه موثوق به ويجيد عمله .. وإنه شخصياً جربه فى استحضار روح أبيه .. هل تؤمن بتحضير الأرواح يا د. (رفعت) ؟

رفعت :

لا أدرى .. كانت لى ثلاث تجارب فاشلة ، واحدة منها مع نصاب يهودى .. لا أزعم أننى أنفى الموضوع أو أؤكده .. فنحن لا نعرف عن الروح سوى أقل من القليل .. أقول فقط إننى لم أر تجربة ناجحة قط .. إن النصابين فى هذا المجال لم يتركوا مكاناً للصادقين .. لكنى أعتقد أنك لست جديدة على مناخ السحر والسحرة هذا ..

المرأة :

إن ما تقوله يخيب أملى .. كنت أحسبك مررت بألف تجربة على الأقل تعرف معها الحقيقة كاملة ...

رفعت :

إن الروح من أمر ربى ولن يغير رأيى ولا رأيك هذه الحقيقة .. والآن هلا أكملت القصة ؟ ربما كان لى رأى فى آخرها ..

المرأة :

كما قلت أنت : لقد اعتدت هذه الأجواء فلم أخشها كثيراً .. صحيح أننى لا أجد سوى نصابين .. لكن تحضير الأرواح له جو راق يختلف كثيراً عن جو (الأعمال) ، والهدهد المصاب بالبواسير ، و(شمهورش) المزواج الذى يهيم بكل حسناء تكثر من تأمل نفسها فى المرآة ..

ذهبت والمحامى بناءً على ميعاد مسبق إلى منزل الدكتور (عدلى) فى الهرم .. وهو رجل متأنق راق يوحى بالثقة .. تأملنى فى اهتمام وسألنى عما أريده من الروح التى أطلبها .. فقلت له – بين مكذبة ومكذبة – إننى أبغى سؤال روح زوجى عن موضع أوراقه ..

قال دكتور (عدلى) – وهو يداعب حبيبات مسبحة من العقيق – إنه يمرّ بتجارب عديدة مماثلة ..

فالموتى ـ للأسف ـ ينسون دومًا أن يضعوا أوراقهم فى مكان ظاهر قبل الموت .. ثم سألتنى :

ـ « كيف مات الفقيد ؟ »

ـ « مات منتحرًا .. لم يكن هذا بسببى ! »

قطب جبينه فى شرود .. وتساءل وهو يداعب المسبحة :

ـ « هذا سيئ .. هل أنت مستعدة لتحمل تبعات تحضير روحه ؟ »

ـ « تبعات ؟ »

ـ « طبعًا .. إن أرواح المنتحرين تكون قلقة شرسة .. وأحيانًا تصرّ على البقاء .. ولو كنت كاذبة بصدد أنك لم تكونى سبب انتحاره فلسوف نعرف هذا بسهولة ! »

ـ « حسن أنا مستعدة »

وعرفت أن تحضير الأرواح يتمّ بعدة طرق .. أشهرها أسلوب لوحة الحروف الأبجدية التى يتحرك فوقها كوب مقلوب ... ويسمونها لوحة (الويجا) .. ثم هناك طريقة الوسيط الذى يتكلم بلسان الفقيد ويردّ على الأسئلة .. وطريقة الزجاج الأسود .. وطريقة

السلّة .. ومشكلة طريقة السلّة هى أنها سهلة إلى حدّ يجعل الكثيرين يجربونها فى بيوتهم .. الأمر الذى يرى د. (عدلى) أنه شبيه بمخاطرة تحضير قنبلة نووية فى مطبخ الدار ..

وكان الدكتور (عدلى) عاتبًا على الأستاذ (أنيس منصور) الذى كتب طريقة السلّة بتفاصيلها فى أحد كتبه(*) ، مما جعل الكثيرين يجربونها فى ديارهم جاهلين ما ينتظرهم من خطر مريع ..

وكان رأى د. (عدلى) هو أن أسلوب الوسيط هو الأمثل .. فهو يجعل الروح والمتلقى على اتصال مباشر .. هل لدىّ اعتراض ؟ لا ؟ إذن لنبدأ الآن .. وقد كان .. وفى مساء الثلاثاء ٢٣ سبتمبر بدأت التجربة ..

أظلمت الأضواء فيما عدا ضوءًا أحمر خافتًا .. وأدار أسطوانة هادئة الموسيقا .. وأشعل عودًا من البخور جعل الضوء الأحمر نفسه ذا رائحة ..

وجلسنا ـ نحن الثلاثة ـ حول منضدة صغيرة ...

(*) ٢٠٠ يوم حول العالم ..

وراح د. (عدلى) يتلو بعض الآيات القرآنية .. ثم أغمض عينيه .. وهمس مرددًا اسم زوجى مرارًا .. بعدها ساد الصمت ..

كان ينتظر قدوم الروح ..

(شريف) (فى حماس) :

ـ ألم تشعرى بالذعر ؟

المرأة :

إن الجو المقبض يحرك الخيال .. لكنى كنت واثقة أن شيئًا لن يحدث .. ولو حدث فهو خدعة .. مثلما يحدث دائمًا .. شريط تسجيل .. كلام من البطن .. شخص مختف فى المكان يتكلم .. أى شىء ..

رفعت :

لاتقولى إنك وجدت شيئًا من هذا ...

المرأة :

بتاتًا .. يبدو لى الرجل صادقًا .. لقد فشل على كل حال ! ولو كان نصابًا لكان نجاحه فى تحضير الروح مؤكدًا ..

رفعت :

ماذا تقولين ؟ فشل ؟! لم أتوقع هذا ..

المرأة :

هذا ما حدث .. لقد مرّ وقت طويل علينا .. هو يهوم رأسه يمينًا ويسارًا فى حركة تشبه النوم ..

رفعت :

يسمونها الـ (ترانس) ...

المرأة :

أيًا كان اسمها .. رأيت وجهه يتقلص .. العرق يحتشد على جبهته .. عيناه انفتحتا لكن حدقتيه لم تكونا هناك .. كانتا فى مكان ما أعلى محجريه ..

أى أننى رأيت عينين بيضاوين تحدقان فىّ بإصرار ..

ثم إنه صرخ من بين أسنانه .. وقال : إن الروح تأبى أن تستجيب لى .. إنها ذائبة فى الأثير .. أو شىء من هذا القبيل ..

رفعت :

كلهم يقولون هذا ..

المرأة :

كان الأمر واضحًا بما يكفى .. ورحت أتأهب للنهوض ، حين سمعت صوت مقعد يتحرك فى طرف الغرفة .. مقعد يتحرك وحده ..

عندها استرخى جسد د. (عدلى) .. لم يسترخ تمامًا لكنه كفَّ عن التشنج على الأقل .. وبصوت عميق متحشرج نادانى باسمى ....

شريف :

أى أن الاتصال قد تم ...

المرأة :

هذا هو ما حاول إقناعى به .. لا أدرى هل تفهمنى أم لا .. لقد كان الصوت عامًا جدًا .. شائعًا للغاية .. الصوت الذى يمكن أن يصدر من أى حاج تجاوز العقد السادس من العمر .. يمكن أن يكون هو صوت زوجى الراحل ويمكن ألا يكون .. هذه مسألة تحتمل القولين ..

رفعت :

ومحتوى كلامه .. ألم يدلك على شىء ؟

المرأة :

قال لى إنه لا يفهم سرّ استدعائى له ... فقلت له إننى أريد أوراق ممتلكاته ..

قال لى إنه يكرهنى وإنه لا يرغب حقًا فى أن يخبرنى بشىء .. ثم أضاف أنه مضطرب نفسيًا لأنه

وافد جديد على عالم الأرواح .. وبالتالى لا يبغى مزيدًا من الكلام ..

وانتهت الجلسة فوجدت د. (عدلى) يعتدل .. ويعود تدريجيًا إلى طبيعته .. راح يجفف عرقه .. ويحلّ ربطة عنقه .. وأضاء الأنوار ..

ثم قال : إنها أصعب تجربة اتصال يقوم بها فى حياته .. لقد كان هناك شىء ما غير مفهوم يعوق الأمر .. كأن هناك من يعيده إلى الأرض باستمرار كلما حاول الابتعاد عنها ..

ثم سألنى : هل عرفت ما تريدين ؟

قلت له : لا ..

قال لى : كنت أتوقع هذا .. فالمنتحرون لا يتميزون بالمودة ولا لطف المعشر ..

سأله المحامى عما إذا كان هناك ما يمكن عمله ..

قال الرجل : علينا أن نكرر الجلسة مرارًا .. فلربما يلين الفقيد ..

لم أجرؤ على مصارحته برأيى فيه .. إن النصابين هم أكثر الناس إيحاءً بالثقة بالتأكيد .. وإلا فكيف ينجحون فى عملهم ؟

شريف :

وهل كررت المحاولة كما طلب ؟

المرأة :

بالطبع لا .. إنه يطلب خمسين جنيهًا فى كل جلسة .. وهو ثمن أفضل الموت ولقاء زوجى مباشرة على دفعه .. لكن القصة لم تنته بعد .

بعد هذه الجلسة الفاشلة بثلاثة أيام كنت فى بيت أمى .. كنت جالسة على الأريكة (أقزقز) اللبَ كدأبى أمام التلفزيون .. وكانت أمى غافية ـ ككل المسنين ـ جوارى .. بينما نام إخوتى ..

لابد أن منتصف الليل قد اقترب ..

أنت تعرف يا د. (رفعت) هذا الشعور الغريب الذى ينتاب العصبيين .. الشعور بأن هناك من يراقبك .. تشعر به يتركز هناك فى مؤخرة رأسك .. ويدفعك دفعًا إلى الالتفات .. وكان علىّ أن ألتفت إلى الوراء .. إلى الردهة التى تمتد أمام باب المطبخ ..

عندها رأيت ـ لربع ثانية ـ رجلا يرتدى منامة زرقاء ، وهو يدلف إلى المطبخ ليتوارى عن عينى داخله !

فى عصبية هززت أمى لتصحو وشعر رأسى ينتصب هلعًا :

ـ « ماما .. هناك شخص ما بالمطبخ ! »

ـ « أحقًا ! بسم الله الرحمن الرحيم ! »

ـ « أقسم على هذا .. »

ـ « و .. وماذا نفعل .. ننادى الجيران ؟ »

لكن جزءًا من عقلى كان يردد باستمرار : أنت واهمة .. أنت ترين أشياء لا وجود لها ككل النساء .. لهذا قررت أن أرى بنفسى أولاً ..

كانت سكين المطبخ على المائدة جوارى .. لهذا تناولتها .. أنا لا أعرف كيف أقتل إنسانًا بسكين لكنى تظاهرت أمام نفسى بأننى أعرف ..

دخلت إلى المطبخ بخطوات حذرة .. ووالدتى ورائى ..

وقبل أن أضغط زرّ الضوء الكهربائى عرفت أننى سأراه ..

رفعت :

عمن تتحدثين بالضبط ؟

المرأة :

زوجى طبعًا ! أنا لا أتحدث عن فأر .. فى البداية

رأيت جسده المظلم واقفًا أمام الموقد .. ثم أضأت النور فرأيت تفاصيله التى لن أنساها أبدًا .. رأسه الأصلع المحمرّ قليلاً بفعل الشمس .. وشعره الأشيب على جانبى رأسه .. وشاربه الكثّ الأحمر كصلعته .. ومنامته الزرقاء المميزة .. والعرق الأبدىّ على جبهته .. كان ينظر لى دون أن يدير وجهه نحوى .. لا أدرى كيف أعبر عن ...



رفعت :

تريدين القول إنه كان فى وضع (ثلاثة أرباع خلفى) كما يقول المصورون ..

المرأة :

تبًا لمصطلحاتك هذه ! لم يكن الوضع يسمح بعمل دراسة عن جماليات الكادر .. كان هناك فحسب .. وكان يتأملنى فى صمت ولوم ..

فتحت فمى لأصرخ .. لكنه لم يعد هناك .. لم يعد أمامى سوى المطبخ الخاوى اليائس .. وعرفت عندها أن أمى رأت ذات الشىء معى !

ولك أن تتخيل الآن كيف قضينا ليلتنا .. قضيناها متلاصقتين نقرأ القرآن ونرتجف ونتساءل عن سر هذا ..

شريف :

هل انتهت القصة عند هذا الحدّ ؟

المرأة :

بل كانت البداية .. البداية لتواجد مكثف له فى كل مكان .. فى الحمام .. فى الصالة .. عند مدخل الشقة .. فى غرفة النوم ..

دائمًا هو هناك بمنامته الزرقاء ونظرة اللوم فى عينيه الحمراوين .. ودائمًا لا يقول شيئًا تقريبًا .. وفى كل مرة يختفى بذات الكيفية الدرامية ...

كان يترك لنا الكثير من الهلع والصراخ والجنون ..

وطلبنا آراء الكثيرين ممن يفهمون فى هذه الأمور .. لكنهم كانوا هم الجهل مجسمًا أو الادعاء مجسمًا أو النصب مجسمًا ..

إن أكثر الاقتراحات احترامًا كان أن نترك المنزل ... ولكن إلى أين ؟ لقد بعت شقته منذ زمن ..

رفعت :

أفهم هذا .. إن هجر البيوت المسكونة لنوع من الترف لايصلح إلا للأثرياء .. أما هنا فالتأقلم هو الحل الوحيد ..

المرأة :

ثم من قال إنه لن يقتفى أثرى حيثما ذهبت ؟ لقد أحال حياتنا جحيمًا .. والأسوأ هو أننى ظللت عاجزة عن فهم سرّ متابعته لى .. لماذا هذا الوقت بالذات ؟ ولماذا يرمقنى بهذا اللوم ؟ أنا لم أوذه فى شىء .. أم أنه ليس من حقى أن أتألم لأنه آذانى مرارًا ؟

شريف :

لعلها تجربة تحضير الأرواح إياها ؟ لعل د. (عدلى) لم يتمكن من صرف الروح ؟

المرأة :

ذهبت إليه واقترحت عليه شيئًا كهذا .. لكنه قال إنه عاجز تمامًا عن تفسير الأمر .. وقال إننا يمكن أن نقوم بمحاولة جديدة لتحضير الروح .. بعدها يمكن أن نسأل الحاجَ عن سبب نقمته علىّ ...

وكانت التجربة الثانية مقنعة نوعًا ....

لقد تحرك المقعد فى مرحلة مبكرة .. وهذا يعنى تواجد الروح فى الغرفة .. وقد سألت الوسيط حين نادانى باسمى :

- « لماذا تطاردنى يا حاج ؟ »
- « إنه الانتقام ! »

قالها بصوت وأسلوب قريب جدًا من زوجى الراحل ...

سألته وأنا أرتجف :

- « لماذا ؟ »
- « لأنك غبية حمقاء .. أغبى من رأيت فى حياتى .. لقد كان كل شىء على ما يرام لى لكنك أصررت فى غباء على ... »
- « على ماذا ؟ »
- « على أن تعلمى ! »

لم أفهم ما يريد قوله .. فسألته السؤال الذى كان يؤرقنى كامرأة :

ـ « هل أنت متزوج من أخرى ؟

مرت هنيهة من الصمت .. ثم قال فى هدوء :

ـ « لم أكن قبلها .. لكنى بعدها فعلت ! »

ـ « بعد .. بعد ماذا ؟ »

قال فى غموض :

ـ « إن اللبنانيات يتمتعن بسحر غريب ! »

ثم بلهجة عاتية الاتهام :

ـ « وأنت أفسدت كل شىء .. كل شىء ! »

حاولت أن أستفهم أكثر لكن الوسيط أفاق من غيبوبته .. وعرفت وقتها أن الهدنة مع الروح قد انتهت .. ستعود الحرب سجالاً بيننا ..

رفعت :

هل أنت تتحدثين من دارك الآن ؟

المرأة :

نعم .. أنا جالسة فى الصالة كعادتى .. أنتظر ميعاد الظهور اليومى .. لن يلبث أن يعبر الصالة بتؤدة أمامى .. أو يفتح باب الحمام ليخرج منه .. أو أراه

واقفاً من وراء كتفى وهو يرمقنى بذات النظرة .. إنه كابوس لا يمكن الخلاص منه ابداً ..

رفعت :

وهل انتهت القصة عند هذا الحدّ ؟

المرأة :

نعم .. لقد كانت الجلسة الأخيرة أمس فحسب .. وقد انغلقت كل الأبواب أمامى فلم يعد هناك سواك يا د. (رفعت) .. هل يمكنك أن تفتح لى ثغرة من النور ؟

رفعت :

لا أدرى هل أستطيع أم لا .. لكن هذه القصة تذكرنى بخبر قرأته فى الجرائد منذ شهر أو أكثر .. ربما فى الأسبوع الأخير من سبتمبر .. متى قلت إنك قمت بجلسة التحضير الأولى ؟

المرأة :

الثلاثاء .. ٢٣ سبتمبر .. لن أنسى هذا التاريخ أبداً ..

رفعت :

حسن .. الخبر كان عن وفاة مصرى مجهول

الشخصية فى (بيروت) .. وجدوه ميتًا فى فندق
واتضح أن بيانات هويته مزورة .. كانت هناك صورة
للمتوفى .. صورة لن أنساها لأنها تشبه صديقى
الدكتور (محمد شاهين) ـ أطال الله عمره ـ إلى حد
كبير .. رأس أصلع وشارب كثّ وشعر أشيب ثائر
على جانبى الرأس .. هل يذكرك هذا الوصف بشىء ؟

المرأة :

لا أعتقد ..

(رفعت) (بغيظ) :

ـ ألم تذكرى هذه الصفات منذ ثلاث دقائق حين
وصفت زوجك ؟!

المرأة :

آه ! لكن زوجى مات قبل هذا التاريخ بشهور ..

رفعت :

هذا هو بيت القصيد .. والآن أفسحى خيالك وصدرك
لما سأقول .. زوجك يمرّ بضائقة مالية لكنه تاجر
بارع راض عن نفسه .. تاجر غير مثقف لا يمكن أن
يشعر بالاكتئاب .. الثقافة والاكتئاب والانتحار أشياء
من عالم واحد .. وزوجك لا ينتمى لهذا العالم بالتأكيد ..
إنه ليس ممن ينتحرون تحت أية ظروف ..

لم يجد أحد جثة زوجك .. أوراقه المهمة مختفية ..
ماذا نجد فى كل هذا ؟ نجد أنه قد فرّ بعيدًا عن
مسئولياته ودائنيه بعد ما أقنع الجميع بانتحاره ..

إلى أين ذهب ؟ لقد تحدث ـ وهو شبح ـ عن
(لبنان) .. كل الفارّين يهربون إلى لبنان ولا أدرى
لذلك سببًا .. يمكننا القول دون خطأ كبير إنه فرّ إلى
(بيروت) ليبدأ حياة جديدة .. ومعه بالتأكيد ما يلزم
لبدء تجارة جديدة ناجحة .. ألم تقولى إنه يتاجر بكل
وأى شىء ؟

المرأة :

بلى .. ولكن هذا عسير التصديق .. و .. وجلسة
تحضير الأرواح ؟

رفعت :

ألم تفهمى بعد ؟ أنت حين ذهبت لبيت د. (عدلى)
مع المحامى لم تعرفى ما ستقومين به .. لقد وجد
الرجل عسرًا شديدًا فى استحضار الروح فى البداية ..
لم يجدها .. ثم بعد قليل جاءت الروح وكانت مرتبكة
مذعورة ..

ما معنى هذا ؟

معناه ببساطة أنكم قمتم بتحضير روح شخص مازال حيًا !

شريف :

يا للهول !

المرأة :

هذا .. هذا جنون !

رفعت :

ربما .. لكن ما حدث بعد ذلك يستحق وقفة .. ففى أحد فنادق (بيروت) هوى رجل فى العقد السادس من عمره ميتا دون سبب واضح .. إن النوبات القلبية تفسير جاهز مناسب دائمًا .. لكنهم لو تأكدوا من لحظة الوفاة لوجدوا أنها فى مساء اليوم الثالث والعشرين من سبتمبر !

لقد انتزعتم روح الرجل منه لتسألوها عن مكان الأوراق .. ولن يدهشنى أن يكون الرجل حاقدًا عليك لأسباب واضحة !

المرأة :

يا للهول ! تعنى أنه كان حيًا لحظتها ؟

رفعت :

كان .. فى بداية الجلسة .. لكنه لم يعد كذلك فى نهايتها ..

لقد ارتكبتم خطأ جسيمًا يا سيدتى .. خطأ من النوع الذى لا يكفى الندم لإصلاحه ... خطأ لا يكفى إغلاق نوافذنا وأبوابنا ليلاً كى نتفادى عواقبه !

شريف :

هل أنت واثق من هذه النظرية يا د. (رفعت) ؟

رفعت :

هذا يتوقف على صدق المعطيات التى بين يدىّ ...

المرأة :

و .. وماذا عساى أن أفعل ؟ ! .. إن هـ .. هذا مخيف ...

رفعت :

يمكنك استشارة د. (عدلى) .. فهو المسئول عن وضعك فى ورطة كهذه ..

المرأة (فى هلع) :

د. (رفعت) ! الغوث ! أنا لم .... إنه أمامى الآن !

رفعت :

زوجك ؟ هل عاد ؟

المرأة :

نعم .. نعم .. إنه يقف أمامى .. يرمقنى بتلك

النظرة الثابتة التى ... ابتعد عنى يا (عباس) .. أنا لست مسئولة عن شيء .. الخطأ خطؤك أنت !

رفعت :

لا أدرى هل أنت تهلوسين أم لا .. لكننى أنصحك بعدم البقاء وحيدة ...

(صوت صراخ .. أشياء تنقلب) :

إنها متمسكة بسماعة الهاتف .. هذا الإصرار يروق لى حقًا !

(شريف) (فى رعب) :

هل يوجد ما يمكننا عمله ؟

رفعت :

معلوماتى أن الأشباح لا تؤذى سوى المعنويات .. إن هذا الرجل يقودها إلى الجنون ببطء .. وهذا هو كل ما يقدر عليه .. لو تمالكت أعصابها قليلاً فقد ...

المرأة :

د. (رفعت) ! افعل شيئًا !! .. إنه لا يريد الرحيل .. بل هو يدنو منى باستمرار وهو يشير إلىّ بإصبعه .. إنه يتهمنى ! لا أريد أن .. آه ! الشرفة ! إنه يريد أن أتجه إلى الشرفة .. لابد أن هناك ما يثير اهتمامه هناك .. هاها ! لم لا ؟ لابد أن المنظر رائع من هناك !

رفعت :

لا تتهورى يا ... عليك بإيقاظ أسرتك! إنه يريد أن يغريك بالـ ...

المرأة (فى هستيريا) :

ماذا بوسعك أن تفعل ؟ أنت لست أنا .. هاها ! ماذا بوسع أى واحد أن يفعل ؟ هيهى ! الشرفة ! نعم .. أنا أتوق لاستنشاق هواء المساء .. وداعًا يا د. (رفعت) .. لقد كانت معرفتك ممتعة حقًا !

رفعت :

أرجوك لا ! لا تفعلى ! إنه ..... (كليك !) ... لقد وضعت السماعة !

شريف :

هل .. هل تعتقد أنها ستفعلها ؟

(رفعت) (فى أسى) :

أنا لا أعتقد .. أنا واثق .. إن مخايل الذعر الحيوانى الذى يستحيل التعقل معه واضحة تمامًا .. ومن يدرى ؟ ربما هى تشعر بعقدة ذنب معينة ...

شريف :

تعنى تحضيرها لروحه ؟



رفعت :

بل قبل ذلك .. من يدرى ؟ ربما لم تكن الديون وحدها هى سبب فرار الرجل .. إن أمثاله يهوون المواجهة وربما دخول السجن .. فهم يعتبرون السجن جزءًا لا يتجزأ من تجربتهم ..

شريف :

إذن هى كاذبة بصدد معاملته لها ؟

رفعت :

إننا لا نرى سوى أخطاء الآخرين .. كما أننا حين نقود السيارة لا نرى كشافاتنا أبدًا بل كشافات السيارات الأخرى .. وقد تعلمت أن كل من يحكى مشكلة يضع نفسه فى صورة الحمل المجنى عليه عديم الأخطاء .. وبالتالى أعتقد أنها لم تكن حملاً إلى هذا الحدّ مع الذئب الذى هو زوجها .. إنها قادرة على تحطيم حياته وإشعاره بفارق السنّ بينهما وعجزه عن الإنجاب .. وحين فرّ منها ومن مسئولياته ظلت هى تفتش عن أمواله فى نهم إلى حدّ تحضير روحه لتخبرها ...

لقد تلقت درسًا قاسيًا على يد الزوج الذى عاد ...

* * *

الحلقة الثانية

حكاية من المشرحة

يحكيها : د. عصام عبد القادر

« فى قاعة مظلمة تفوح فيها رائحة (الفورمول) .. وعلى منضدة من مناضدها ؛ يرقد ذلك الرجل وعيناه لا تفارقانِ وجهى .. أينما ذهبت .. شرقًا أو غربًا .. شمالًا أو جنوبًا .. »

المقدمة

شريف :

ها نحن أولاء يا سادة نجتمع للقاء الرعب الأسبوعى مع د. (رفعت إسماعيل) .. أرجو أن تكونوا ساهرين جوار أجهزة المذياع ، وأن تتأكدوا من أن الأطفال قد ناموا .. لقد كانت حلقة الأسبوع الماضى الخاصة بمصاصة الدماء فى مدرسة البنات شائقة حقًا(*) .. لقد تلقيت عشرات المكالمات تبدى إعجابها بها ـ الحلقة ـ ولكن الجميع ينسى أن نجاح هذا البرنامج لا يعود لنا .. بل لكم .. أنتم من تمدّون ...

رفعت (فى ملل) :

(أنتم من تمدّون آلة الرعب بقصصكم لتعمل ولا تتوقف أبدًا) .. اختصر يا (شريف) .. اختصر .. لقد كررت هذه العبارة عشر مرات منذ الحلقة الأولى ..

(*) أرجو ألا ينسى القارئ أن ترتيب الحلقات هنا يختلف عن الترتيب الذى أذيعت به ..

شريف (لا يخفى غيظه) :

لكنها الحقيقة ..

رفعت :

إن كون الشمس تأتى من الشرق لا يعنى أن تذكر هذا طيلة اليوم .. وعلى كل حال نحن نثرثر بانتظار المكالمة الأولى .. هل قرأت ما نشر بالصحف أمس عن انتحار أرملة فى (العباسية) بعد مرض نفسى طويل ؟

شريف :

هل تعتقد أنها بطلة أولى حلقاتنا ؟ لكن شهرين قد ...

رفعت :

بالتأكيد لم تفعلها فى تلك الليلة .. لكنها فعلتها أول من أمس .. لم يختلف الأمر كثيرًا . الخبر يقول إنها زوجة تاجر انتحر بدوره منذ فترة بسبب الإفلاس .. وأنها لم تنجب .. وإنها كانت تعيش فى بيت أسرتها ... لا توجد أرامل كثيرات بذات الصفات على ما أظن ..

شريف :

ولماذا وكيف ظلت حية هذين الشهرين ؟

رفعت :

لقد قاومت .. لكن حدودها تنتهى عند هذه النقطة ...

يا لها من مأساة ...

(رنين الهاتف) ..

يبدو أن هذا هو زبون الليلة ...

شريف :

آلو ؟ برنامج (بعد منتصف الليل) .. هل لى أن أتعرف المتحدث ؟

صوت شاب :

كيف حالك يا أستاذ (شريف) ؟ أنا د. (عصام عبد القادر) .. طالب بالسنة الرابعة من كلية الطب ...

رفعت :

إنها عادة طلاب الطب العتيدة .. ما إن يخطو أحدهم إلى داخل الكلية بعد إنهاء دراسته الثانوية حتى يصرّ على تسمية نفسه (دكتور) .. على كل حال .. مرحبًا بك يا دكتور .. لعلك واحد من تلاميذى ؟

د. عصام :

بالواقع لا .. أنا من كلية أخرى ....

شريف :

هلا بدأت السرد من فضلك ؟

عصام :

إنها قصة تعود إلى السنة الأولى من كلية الطب .. هل تذكر هذه السنوات يا د. (رفعت) ؟ هذه النشوة والرهبة والفخر الداخلى .. وشعورك بأن الحياة قد اختارتك أنت دون سواك كى تخبر أسرارها .. إنه ذلك الانبهار المجنون بلفظة جديدة ذات مذاق لاتينى حريف .. حينما تكف البطن عن أن تكون بطنا وتتحول إلى Abdomen .. وتتكلم بتلك اللغة الركيكة التى يستعملها طلبة الطب التى تمزج بين العربية واللاتينية .. وتتشدق بها فى كل مكان حتى فى الحافلة .. حاسبًا أن الناس يرنون لك فى إعجاب ..

رفعت (فى سأم) :

أفهم كل هذا .. صدقنى ..

عصام :

بالطبع كانت المشرحة هى المكان ذو الثقل الأعظم فى نظرتنا للأمور .. فهى أول ما يثب لذهن الناس حين تتكلم عن دراسة الطب .. كنا نرمق اللافتة القديمة التى كتب عليها (المشرحة) فى شوق

وخوف .. هناك يكمن الموت بكل غموضه ورهبته .. وهناك الأجساد البشرية التى تنتظر أن نفتحها لنعرف سرّ الحياة .. كل واحد فينا كان يعتقد أنه سيعرف كل شىء بمجرد أن يمدّ يده إلى الجثة .. وبغرور الشباب لم يسأل نفسه عن سرّ فشل كل من شرحوا الإنسان – من عهد (فيزاليوس) حتى اليوم – فى اكتشاف سرّ الحياة .. إن الأمر يختلف معك .. لأنك هو أنت ...

وجاء اليوم الموعود ....

دخلنا القاعة الرطبة فى رهبة .. كانت هناك فتيات معنا .. لكن أكثرهن تراجعن إلى الوراء بضع خطوات وقد تقلصت وجوههن فى اشمئزاز ..

رائحة (الفورمول) تعبق الجوّ .. وهى ألعن رائحة يمكن شمها .. وتأثيرها على العينين والأنف يوشك أن يكون قاتلاً لمن لم يعتدها ...

وعلى مناضد متراصة متلاصقة رأيناها ...

تلك الأشياء الرهيبة التى تجمدت فى الأوضاع التى هلكت بها ..

بدافع من كبرياء نواصل التقدم .. اللعنة على أول من يتراجع ..

وناظـــرين إلى تلك الأشيـــاء بدأنـا ـ رويـدًا ـ نفقد خشيتنا الأولـى .. إن هـذه الجثـث تكـاد لاتمـت إلـى الأحياء بشيء .. لقد جعلها (الفورمول) أقرب إلـى تمـاثيل خشـبية غامقـة اللـــون يصعـب أن تصـدق أنهـا آدمية .. تمـاثيل هائلـة الحجـم مـن الصلصـال البنى ..

وفارقنا ذعرنا .. وبدأنا نتخذ مقاعدنا ونتزاحم حول المناضد .. وقد تطوع أكثرنا حماسًا ورغبـة فى لفت الأنظار بأن يكون هو قائد المجموعة الصغيرة حول المنضدة .. وتناثرت كتب (كننجهام) هنا وهناك .. وبرزت المباضع .. ودوّت المصطلحات اللاتينية التى اصطكها (فيساليوس) ..

وعرفنا أن اختبارنا الأول قد تمّ بسلام ...

شريف :

إنك لتثير خيبة أملى يا د. (عصام) .. فلم أتصور الأمر بهذه السهولة ..

رفعت :

كل الأشياء تبدو من الداخل أتفه مما هى فى الخارج ....

٤

عصام :

لكنى لم أنته بعد .. لم أنتظر منتصف الليل لكى أخبركم بمدى شجاعتى .. إن القصة أكثر تعقيدًا كما سترون بعد قليل ...

يجب هنا أن أحكى لكم ما حدث قبل تجربة المشرحة بعام أو أقل قليلاً .. وكل ما أرجوه ألا تلومونى بأكثر مما أستحق .. فأنا بشر ...

كان هذا فى إحدى ليالى الشتاء ...

ربما كان الليل قد انتصف أو لم يحدث بعد ... لا يهم ...

كنت عائدًا من سهرة فى دار أحد أصدقائى .. كان الوقت متأخرًا والليل باردًا إلى درجة لا تصدق .. وكنت أجدّ السير فى الأزقة المظلمة لاهثًا من الزمهرير .. وبخار الماء يحيطنى بهالة من الضباب جعل زجاج عويناتى كأنه مصنفر .. وبيد مرتجفة أضم طرفى الـ (بول أوفر) الذى أرتديه على صدرى طالبًا بعض الدفء ..

عابر سبيل اصطدمت به فى الظلام ..

لم يكن الموقف يستحق الاهتمام ؛ وكان من الممكن أن يمرّ ببساطة .. لكنه سبنى بفظاظة .. وقال شيئًا ما عن الحيوانات العمياء ..

حاولت أن أنهى الموقف محافظًا على كرامتى ..
لكنه كان يسعى للشجار .. ربما كان غاضبًا حقًا أو
يبغى التحرش .. لا أدرى ..

كل ما هناك هو أننا اشتبكنا بالكلمات ثم باللكمات ..

كان قويًا .. لكن عويناتى لا تعنى أبدًا أننى فريسة
سهلة .. فأنا كتلة من العضلات .. ثم إننى ألعب دور
الحليم فى كل أطوار حياتى .. فإذا غضبت ..

لا أدرى كم لكمة وجهت إلى أنفه وفكه وأسفل
بطنه .. كل ما أذكره هو أنه تهاوى على ركبتيه ..
ثم سقط أرضًا ...

وحين عاد إلىّ رشدى ، انحنيت ـ وقد استحال
غضبى فرقًا ـ لأتفحص جسده الممدد هناك .. لم يكن
يتحرك .. إن الظلام دامس لكنه لا يتنفس .. لا أسمعه
يتنفس .... هل هو ....؟

رفعت :

بالطبع فررت دون كلمة واحدة ..

عصام :

طبعًا .. استولى الذعر على فؤادى .. وانطلقت فى
الأزقة لا ألوى على شىء ... الدموع تغمر وجهى

والشعور بأننى فقدت أثمن ما فى حياتى .. لقد فعلت
ما لايمكن أن تظل حياتى بعده كما كانت قبله ..

المهم أننى عدت إلى دارى ولم أخبر أحدًا بحرف ..
لكن وجه الرجل ظل يطاردنى ..

عيناه الحادتان .. شاربه المنمق الجميل .. شعر
رأسه الفاحم .. الشامة الكبيرة على خده الأيسر ..
نظرة التحدى الوقح العدوانية ..

وفى الصباح والصباح التالى رحت أطالع الصحف
فى نهم بحثًا عن خبر ما عن العثور عليه .. شهر
كامل .. عام كامل لم أكف فيه عن البحث .. لا شىء ..
لهذا معنى واحد : الرجل لم يمت .. إنه حىّ يرزق ..
لكنه قطعًا سيكف عن التحرش بعابرى السبيل ...

وبدأت أنسى الأمر تدريجيًا .. لكنه بالتأكيد زارنى
فى أحلامى مرارًا .. كنت أراه تارة برأس مهشم ..
وتارة ببطنٍ مبقور .. فأنا لا أعرف كيف مات إن كان
قد مات حقًا ...

وجاءت لحظة مواجهة المشرحة التى بدأت بها
قصتى ..

كنت جالسًا وسط زملائى أتأمل صفحات كتاب

(كننجهام) البراقة .. وأصغى لما يقول قائد المجموعة بصوته الرفيع المبحوح ..

كان يشـــرَح الساق .. لهذا لم أحاول قط ـ ولم أرغب ـ أن أرى وجه الجثة التى يتم الشرح عليها ..

كنت متبلد الشعور بشكل غير عادى .. فلم تطف بخيالى تلك الخواطر المألوفة عن الموت والحياة .. كنت أشعر أن هذه الجثة مجرد جهاز تالف نفتحه لنرى كيف كان يعمل .. ولا شىء سوى الحظ يمنعنى أنا من أن أكون الجثة ويكون المتوفى هو طالب الطب ..

لكن طالبة حمقاء قالت شيئًا ما عن الرأس المصاب للفقيد .. فرفعت عينى فى خمول وتأملت ما تتكلم عنه .. ثم عدت أتابع الشرح وأتفحص عضلات الساق .. و .....

مهلاً ! لقد أثار شىء ما اهتمامى فى هذا الوجه ...

عدت بعينى إلى أعلى .. كان هناك رأس .. لقد صبغه (الفورمول) بلون الصلصال القاتم لكن ليس عسيرًا أن تدرك أن المتوفى ذو شارب .. ذو شعر أسود فاحم .. وشامة على الخدّ الايمن .. عيناه مفتوحتان تقولان إنه كان ذا نظرات حادة شرسة ..

وكان الرأس مهشمًا عند الفود الأيمن ..

ـ « معذرة ! »

فى أدب أزحت الجالسين حولى .. واتجهت متثاقلاً إلى النافذة .. كنت فى حاجة إلى هواء نقى ..

شريف :

هل تعنى أنه هو ذات الرجل ؟

عصام :

بالتأكيد هو .. لقد أسميته (العابر) فى خواطرى الخاصة ..

شريف :

لكن كيف ؟ لا بد أن أهله استردوا جثته ..

رفعت :

ليس دائمًا .. لو لم يكن يحمل أوراقًا وقت وفاته .. ولو لم يتعرفه أحد .. عندها يُعتبر ناقص الأهلية ويُنقل إلى مشرحة كلية الطب .. إن الاحتمال وارد للأسف ..

عصام :

لم أكن أعرف هذا .. كان تأثير رؤيتى وجهه أقرب إلى تأثير المشى فوق كابل من كابلات الجهد العالى .. ولا بد أنكم تفهمون سبب ذلك ..

(رفعت) (كمن تذكر شيئًا) :

لحظة يا دكتور .. هل (عصام) هو اسمك الحقيقى ؟

عصام :

بالطبع .. ولماذا تسأل من جديد ؟

رفعت :

أحاول استنتاج نهاية القصة .. فلو كنت قتلته حقًا لما ذكرت اسمك الحقيقى ..

عصام :

وما يدريك ؟ لعلى أعترف طلبًا للعقاب وتخففًا من سرّ أضنانى ؟ على كل حال لن أخبرك بنهاية القصة إلا حينما تحين نهاية القصة .. يقولون إنك سريع الملل يا د.(رفعت) .. وعجول جدًا .. يبدو أنهم على حق ..

رفعت :

إذن .. أكمل كلامك ...

عصام :

لك أن تتصور مدى هلعى ورعبى .. لم أنم ليلتها ولا فى الليالى التالية .. كنت هناك .. فى قاعة مظلمة تفوح فيها رائحة (الفورمول) .. وعلى منضدة

من مناضدها يرقد ذلك الرجل .. وعيناه لا تفارقان وجهى .. أينما ذهبت .. شرقًا أو غربًا .. شمالاً أو جنوبًا ..

دائمًا يرنو لى بتلك النظرة الحادة وعيناه لا تطرفان .. تقولان بصوت عال برغم كونه غير مسموع : أنت قتلتنى !

لن أحكى لك عن المرات العديدة التى اقتحم فيها حجرة نومى ليوقظنى من النوم .. وفى كل مرة كنت أملأ الكون صراخًا .. ثم أهدأ .. وأعرف أنه لم يأت قط .. إنه مازال ينتظرنى هناك ...

رفعت :

لا أتوقع أنك صرت من المتفوقين فى علم التشريح ؟

(عصام) (فى سخرية مريرة) :

من يتحدث عن التشريح ؟ إننى لم أضع قدمًا فى المشرحة لمدة ستة أشهر كاملة .. وكنت أقضى ساعات الدرس فى الكافتريا .. أدخن وأرمق السقف .. وأتعرف الفتيات لأحدثهن عن النظام المحكم المسيطر على هذا الكون ..

رفعت :

لكن المشكلة قد انتهت سريعًا دون شك .. فالجثث لا تظل جثثًا ..

عصام :

هذا حق .. فمع مرور الوقت يغدو التعرف مستحيلاً .. وتستحيل الجثة إلى قطع متناثرة فى كل صوب ..

كانت نهاية العام الدراسى قد دنت .. وجرؤت على دخول المشرحة فلم أر إلا أشلاء على كل منضدة .. فهذه ذراع تمزقت أوتارها .. وهذا قلب شقوه بالطول .. وتلك رئة .. وهذا شريان أورطى ملقى كخرطوم قديم على منضدة التف حولها الطلاب متكالبين ؛ كأكلة لحوم البشر حول (ليفنجستون) رحمه الله(*) .

لم يعد (العابر) هنا .. وانتهت متاعبى ..

رفعت :

سؤال يتعلق بالأخلاق .. لماذا لم تبلغ الشرطة بمخاوفك ؟

(*) ليس مؤكدًا أن هذا كان مصير المستكشف الإنجليزى الشهير (ليفنجستون) ، والذى اختفى فى مجاهل إفريقيا وهو يبحث عن منابع النيل ..

عصام :

لم أكن واثقًا مما يحدث .. فهناك احتمال ألا يكون نفس الرجل .. وإذا كان هو فلربما لست المسئول عن وفاته .. ثم إن شخصًا حساسًا مثلى يمقت الشرطة ويهابها بالتأكيد .. سمه الجبن أو الهرب من المسئولية لو أردت .. لكنى لم أفعل ....

رحت جاهدًا أحاول اللحاق بما فاتنى .. وحشرت فى رأسى ـ كمن يحشر الثياب فى زكيبة ـ مئات من أسماء العضلات والشرايين والأعصاب .. لكنى كنت أصطدم بأشياء غير معتادة حقًا ...

فحينما كنت أدرس تشريح الرأس كنت أبحث جاهدًا عن رأس يصلح .. وأسأل العامل ـ مع نفحة مالية مناسبة لشراء الدخان ـ عن رأس فى حالة معقولة .. (وكل عمال المشارح يخفون أشياء كهذه لمن يدفع ثمن الدخان لهم من الطلبة) ..

عندها كان الرجل يهز رأسه فى فهم .. ويخرج لى من الثلاجة رأسًا له شعر فاحم وشامة على خدها .. وله نظرة حادة !

اتفقت مع زميل لى على أن يقوم بتشريح الرأس

ليغير معالمه تمامًا .. لكنى عندما أدرس تشريح الساعد كنت أجد ساعدًا له شعر فاحم كث ..

ولا يصعب علىّ استنتاج صاحبه ..

لقد تضاعفت المشكلة .. فبعد ما كنت أهاب شيئًا واحدًا غدوت أهاب عشرات الأشياء المبعثرة هنا وهناك ..

دعانى بعض الأصدقاء إلى جلسة فى دار أحدهم .. وكان الهدف هو دراسة تشريح المخ .. وبالطبع يتم التدريس على مخ ابتاعه أحدهم من عامل المشرحة النهم إلى الدخان دائمًا .. كلهم يفعل هذا ..

فما إن جلست وأخرجوا المخ من كيس بلاستيكى صغير ؛ حتى أدركت أن هناك تهتكًا واضحًا فى الفصّ الصدغى الأيمن ..

ـ « لا بد أن هناك من ضربه على هذا الفصّ فقتله ! »

قالها أحدهم وهو يمصمص شفتيه حسرة على ضياع ماله فى عينة فاسدة كهذه .. أما أنا فقد وصلتنى الرسالة كاملة ..

واعتذرت لهم وغادرت المكان ..

شريف :

الخلاصة أنه جعل حياتك جحيمًا ...

عصام :

كنت أقضى اليوم حائرًا ما بين التفكير فى هجر الكلية .. أو تسليم نفسى للشرطة .. أو الانتحار .. لقد كان انتقام (العابر) كاملاً محكمًا ..

ثم .. أذكر تاريخ ذلك اليوم جيدًا ...

كنت فى المشرحة أعوض ما فاتنى .. وكان الوقت عصرًا وهو وقت هادئ مناسب جدًا للتحصيل .. إن العامل يبقى المكان مفتوحًا إذا أنت راعيت حاجته للدخان ..

رفعت :

كل هذه الأموال الطائلة من أجل الدخان ! حتى لو كان يدخن سيجار (هافانا) فلا أحسبه بحاجة إلى هذا المال ...

عصام :

لا أدرى كيف مرّ الوقت .. لكنى أفقت من تركيزى لأدرك ـ فجأة ـ أننى وحيد جدًا .. والمكان صامت جدًا .. والضوء قد بدأ يخفت حتى ليدخل فى دائرة الظلام ..

انتابنى القلق .. لم لا ؟ إن شيئًا ما غير مريح فى كل هذا ..

اتجهت إلى الباب وناديت العامل مرة أو مرتين فلم يرد ...

امتدت يدى فى قلق إلى المقبض .. جربت فتحه .. عندها أدركت أن حدسى كان صائبًا .. لقد سجنت ها هنا !

لا بد أن العامل كان شارد الذهن .. أو ذهب ليبتاع بعض الدخان .. المهم أنه أوصد الباب بالمفتاح ..

وهأنذا وحدى فى هذا المكان المريع بانتظار الظلام !

إنه لموقف رهيب نوعًا بالنسبة لأى طالب آخر .

أما أنا فلست كالآخرين .. أنا أعرف ما يوجد فى هذا المكان جيدًا ...

لقد سنحت له الفرصة أخيرًا ولن يتركها ...

قفّ شعر رأسى حينما سمعت صفيرًا .. ثم صريرًا ..

ثمة ما يتحرك فى هذه القاعة ..

نهضت كالملهوف وضغطت زرّ الضوء .. الضوء الحكومى الشاحب ينبعث ملولاً من مصباح واهن معلق فى السقف ..

كانت المناضد كما رأيتها صباحًا وعليها الأشلاء .. من المستحيل تبين ما كان يخص (العابر) منها وما لم يكن له ..

هنا حدثت الطامة الكبرى ....

لقد انقطع التيار الكهربى ..

وكان الظلام قد توغل إلى حدّ جعل الرؤية مرهقة بالفعل .. لكن الهلع الذى استبدّ بى جعلنى أرى آلاف الأشياء فى هذا الظلام ..

رأيت ذراعًا مخلبية تتحرك على الأرض صوبى ..

رأيت عينين حادتين ترمقانى فى حقد وتحد ..

رأيت شاربًا أسود يتحرك ذاتيًا على الجدار ..

انتهى التعقل وجاء وقت الجنون .

ودون كلمة ولا صرخة اندفعت نحو النافذة ...

كانت المشرحة فى الطابق الثانى لكنى لم أبال ..

وثبت من النافذة وثبة حصان جموح .. ونجحت الأشجار فى تخفيف سقطتى .. لكنى هويت على ركبتى فكدت – أو ربما فعلت – أهشمها .. وبرغم الألم رحت أركض لاهثًا .. مغمغمًا بكلمات لا معنى لها .. مترنحًا .. قاصدًا الباب الرئيسى للكلية .. وفؤادى يخفق كجناح عصفور طنان ..

ورحت أركض فى الشوارع المظلمة أرمق أضواء السيارات الباهرة وأقول كلمات لا أفهم ما أعنيه بها ..

الخلاصة أننى جننت ...

رحت أجتاز الأزقة المظلمة نحو دارى .. وأنا أرى الرجل فى كل صوب من حولى .. وأسمعه يقهقه فى وحشية من ذعرى ..

هنا اصطدمت بعابر سبيل فى الظلام ..

كدت أواصل طريقى لكنه سبنى فى فظاظة .. وقال شيئًا ما عن الحيوانات العمياء .. فتوقفت ونظرت إليه مشدوهًا ..

الشعر الفاحم ... الشارب .. النظرة الوقحة .. الشامة على الخد الـ .. الأيسر لا الأيمن .. إنه هو !

لا لم يمت ..



وعندها تأكد لى أن اختلافًا كبيرًا يوجد ما بينه وبين (العابر) فى المشرحة .. إنها ذات الصفات لكنها لا تعنى تشابه الرجلين .. لقد اعتدت شكل (عابر) المشرحة حتى نسيت وجه الآخر تمامًا .. وبشكل ما أقنعت نفسى بأنهما لذات الرجل .. لكنى الآن أدرك خطئى .. إن الرجل الذى تشاجرت معه وأوقعته هو الماثل أمامى الآن .. ومن الواضح أنه لم يمت .. أما من رأيته فى المشرحة ونغص حياتى عامًا كاملاً فهو مجرد شاب آخر له شارب وعينان حادتان ..

هنا لمحت نظرة تذكر فى عين الرجل .. وبشك هتف :

ـ « أنت ! هل التقينا من قبل ؟ »

قلت كاذبًا :

ـ « لا ... »

وأدرت وجهى مبتعدًا ..

ـ « انتظر ! »

صاح بى .. لكنى أطلقت لساقىّ العنان ..

لا أريد صدامًا مع هذا الرجل بالذات ..

هو يريد الانتقام من الجرح الذى أصبته به يومًا .. لكنه لا يدرى أنه قد نال هذا الانتقام بالفعل .. وأنه ـ لعام كامل ـ جعلنى على حافة الجنون .. بل إننى لم أدنُ من الانتحار هذا الدنو قط ...

وهكذا انتهت هذه القصة .. ولا أدرى ما تعليقك عليها يا د. (رفعت) ..

شريف :

نحن شاكرون لإسهامك يا د.(عصام) .. ويمكننا الآن أن نسمع د.(رفعت) .

رفعت :

لا يوجد ما يقال .. فهى قصة نموذج لـ (الرعب الموجه فى اتجاه خطأ) .. ثم إنها ترينا كيف أن عقدة الذنب تستحوذ على العقل الباطن فتجعله يرى ما لا وجود له .. ولم يجد العقل الباطن هنا سوى المشرحة مكانًا للجثث .. عندئذ لا بد أن تظهر جثة من تظن أنك قاتله .. إنها ألاعيب (الأنا العليا) العتيدة ...

شريف :

وما الذى نتعلمه منها ؟

رفعت :

أكره لىّ أعناق القصص للحصول على مغزى ما .. ربما كان المغزى هنا هو : (إن كان لك شارب مثل شاربى فليس معنى هذا أننا نفس الشخص) .. أو : (لاتقتل عابرى السبيل فى الأزقة ليلاً لأنهم يعودون دائمًا) .. أو : (إن عاملى المشرحة جميعًا يختفون

فى الوقت غير المناسب) .. هل هذا كاف ؟

عصام :

ثمة إضافة أخيرة عرفتها مؤخرًا .. يتحدث سكان الأزقة التى كنت أجتازها عن شبح شاب ذى شارب أسود .. وشامة على خده .. يقولون إنه يقطع الطريق على من يعبرون الزقاق ليلا ....

رفعت :

حقًا ؟

عصام :

يقولون إن هناك من قتله فى هذا المكان منذ أعوام !

رفعت :

إنها لمصادفة طريفة حقًا ....

عصام :

ألا ترى شيئًا غريبًا فى الموضوع ؟

رفعت :

بلى .. أن الأشباح ذوات الشوارب قد ازداد عددها مؤخرًا ....

شريف :

هل تعنى أنه نفس الشخص ؟

عصام :

هل ترى رأيًا آخر ؟

رفعت :

يريد القول إن (العابر) قد مات حقًا .. وإنه فى تلك الليلة اصطدم بشبحه .. وفى كلا الحالتين ـ الصواب أو الخطأ ـ لا يوجد شىء من الصحة لمخاوف المشرحة .. إننى أنصحك يا دكتور نصيحة واحدة .. انس الموضوع برمته .. وتغلب على ولعلك الشديد بالمشى فى الأزقة ليلاً .. هذا هو كل شىء .. إن حياتك تنتظرك ولا داعى لإضاعتها فى تساؤلات لا جدوى منها .. وإلا فعليك أن تتوجه لأقرب قسم شرطة لتخبرهم بما تظن أنك فعلته منذ أعوام ...

بالمناسبة .. أعتقد أن اسمك ليس (عصام) حقًا .. الآن تأكدت من هذا .. وإلا لوجدت كل شرطة المدينة فى دارك بعد عشر دقائق ..

عصام :

أنت محق .. ليس اسمى (عصام) ..

رفعت :

إذن عمت مساءً يا من لست (عصام) ..

الفتى :

عمت مساءً سيدى .. وشكرًا على إنصاتك ....

★ ★ ★



الحلقة الثالثة

فكرة غير عادية

يحكيها : م . محمد عثمان

الحلقة الثالثة

فكرة غير عادية

يحكيها : م. محمد عثمان

« توجد طريقة واحدة لتقتل شخصًا يغلق الحمام على نفسه من الداخل .. إن هذا سهل جدًا .. كما أن معرفة القاتل ليست مستحيلة .. »

المقدمة

شريف :

صباح الخير سيداتى سادتى .. (شريف السعدنى) يحدثكم على الهواء مباشرة من ستوديو (٨) .. ومعى هاهنا د. (رفعت إسماعيل) الذى سيستمع معى إلى حكاياتكم ويناقشها ويقترح حلولاً لها .. (صوت أوراق) .. جاءنى خطاب من (ع.م.ع) يقول فيه إنه يمقت الكلام فى الهاتف ويرغب فى أن نحلّ مشكلته المقروءة لا المسموعة .. وقد فعلنا ذلك .. فليتفضل د. (رفعت) بالإجابة ..

رفعت :

لا تفعل يا (ع.م.ع) .. أرجوك ألا تفعل ... هذا هو ردّى !

شريف :

ألن تشرح مشكلته للمستمعين ؟

رفعت :

إنه لا يهوى الثرثرة وأنا كذلك .. وعلى كل حال إذا كان يريد حلاً لمشكلته فقد وصله هذا الحلّ كاملاً غير منقوص .. لا أعتقد أنه من هواة الشهرة ..

(شريف) (فى ضيق) :

لكن المقصود من هذا البرنامج هو ....

رفعت :

ليكن .. إن (ع.م.ع) يعتقد أن ثلاجته ألمانية الصنع مسكونة ! هذا يحدث كثيرًا جدًا مع الثلاجات المصنوعة فى ألمانيا - لا بد أنها روح البارون (لودفيج) أو أرشيدوق النمسا - لهذا نصحته ألا يحتفظ بها .. إن الثلاجات المصنوعة فى مصر لا بأس بها وغير مسكونة غالبًا .. هل هذا كاف يا (شريف) ؟

شريف :

ولكن هذا سخيف ....

(رنين الهاتف) ..

آلو .. هنا برنامج (بعد منتصف الليل) .. من معى ؟

صوت رجل فى منتصف العمر :

أنا (محمد عثمان) .. مهندس من القاهرة .. متزوج وأب لطفلين ... هل د. (رفعت) معك هاهنا ؟

رفعت :

بالتأكيد يا سيدى .. فلا شىء يقدر على إزالتى من الوجود عدا الموت ..

محمد :

أنا الآن وحدى فى الدار .. إن زوجتى والأطفال عند حماتى .. يبدو أنها واحدة من تلك المشاجرات العائلية التى تحدث دومًا ولا تنتهى بالطلاق أبدًا ..

رفعت :

أفهم ما تعنيه .. إن الطلاق شىء درامى جدًا .. وعنيف جدًا .. إن من يطلقون شركاء حياتهم شجعان جدًا أو حمقى جدًا .. أى أنهم يختلفون عنى وعنك ..

محمد :

لا أفهم تعبيراتك الملتفة هذه .. كل ما أعرفه أنها تطلق علىّ الآن نعوتًا مشينة .. فلا بد أنها تسمع ما نقول حالا .. لكن هذا ليس هو سبب اتصالى .. فالنساء دومًا غاضبات يرين أن أزواجهن حمقى على طول الخط .. لا عليك ..

سأحكى لك يا د. (رفعت) حكاية عن مسابقة فى مجلة ..

رفعت :

غريب ! لا أقابل قصصًا كثيرة تبدأ بمسابقات فى مجلات ..

محمد :

مجلة تافهة هى .. تحوى بابًا على غرار (فكر واربح)

أو (للأذكياء فقط) .. المهم أن هذه المجلة التعسة وقعت فى يدى منذ ثلاثة أشهر .. ورحت أقلب صفحاتها .. إلى أن وجدت هذا الباب وفيه وجدت هذه المعضلة الذهنية :

المفتش (سراج) ـ هذا يدلك على أن للمعضلة أصلاً أجنبيًا ـ هو رجل شرطة ذكى لا يفوته شىء .. يتم استدعاؤه إلى مسرح جريمة قتل فى ذلك اليوم الممطر .. هل أنت معى ؟ حسن ...

القتيل كان فى الحمام .. وقد قلقت زوجته عندما عادت للدار فلم تجده .. وقرعت باب الحمام الموصد من الداخل فلم يردّ عليها .. استعانت بالبواب واستطاعا أن يقتحما الباب .. وكان هذا كافيًا لتنطلق فى الصراخ فلا تهمد أبدًا كصفارة إنذار الغارات ...

هو ذا زوجها المحاسب الذى أتم عامه الأربعين منذ أيام ، ممددًا فى حوض الاستحمام وقد غاب أنفه تحت الماء تمامًا .. ولم يكن الأمر يحتاج إلى (قومسيون) طبى لمعرفة إن الرجل ميت ...

وجاء رجال الشرطة وقالوا إن الحادث نجم عن نوبة قلبية أو إغماءة أو اصطدام الرأس بالبانيو .. المهم أن هذا أدى إلى غرق المحاسب .. إن هذه

الأشياء تحدث دائمًا .. ولا تستدعى سوى الحزن فنسيان الموضوع ..

وحتى هذه اللحظة يظل اسمه (المتوفى) لا (القتيل) ..

وهنا يصل عمنا الكبير المفتش (سراج) ليرى ـ كالعادة ـ ما لم يره الأغبياء الآخرون .. ويزيد الأمور تعقيدًا ..

فهو يلاحظ آثار مقاومة فى جسد المتوفى .. ويلاحظ أن المنشفة ملقاة فى ركن ، وقطعة الصابون فى ركن .. وأن الفوضى التى تجتاح الحمام توحى بوجود صراع .. هنا ـ ككل مفتشى القصص ـ يشعل سيجاره فى حنكة .. ويضيق عينيه مفكرًا .. لماذا ومع من تشاجر المتوفى ؟ هناك من تعمد أن يغرقه فى حوض الحمام .. وبالتالى يمكننا يا سادة أن نتحدث عن المتوفى باعتباره (القتيل) ونعتبر ما حدث جريمة قتل ..

هنا يفغر الكل أفواههم فى غباء .. ويقول أحدهم :

ـ « لكن هذا مستحيل يا سيدى المفتش .. لقد كان الحمام موصدًا من الداخل .. ثم إنه لا توجد نوافذ فيه .. هذا يجعل دخول شخص آخر مستحيلاً .. ولو حدث لوجدنا الباب مفتوحًا .. »

هنا يقول المفتش فى ثقة وهو يتأمل وجوه الواقفين :

ـ « بالعكس .. توجد طريقة واحدة لقتل شخص وحيد يغلق الحمام على نفسه من الداخل ، إن هذا سهل جدًا .. كما أن معرفة القاتل ليست مستحيلة »

وهنا توجه المجلة سؤالين إلى القراء :

(ا) كيف تمت الجريمة ؟

(ب) من هو القاتل ؟

عزيزى القارئ .. أرسل لنا الحلّ مع عنوانك لتفوز بجائزة قيمة هى ساعة يد(*) الحلّ ينشر بعد أربعة أعداد ...

رفعت :

بالنسبة للشق الثانى من السؤال أعرف أن الزوجة هى القاتل ..

(شريف) (بانبهار) ؟

كيف عرفت ؟

رفعت :

لا توجد شخصية سواها فى القصة !

(*) كان هذا النوع من الجوائز سائدًا فى الستينات ، قبل أن تصير جوائز اليوم من عينة السيارات والشقق والجنيهات الذهبية ..

محمد :

دعنا من هذا الشق .. إن أى طفل يمكنه إدراك ذلك .. لكن الشق الأول هو المشكلة الحقيقية ..

وكنت وقتها بحاجة إلى تحدّ عقلى .. وقبل هذا كنت أريد ساعة يد محترمة .. لهذا قضيت الليل بطوله أراجع فقرات اللغز .. وأبحث عن الحلّ بين الحروف ..

رفعت :

فى هذا النوع من القصص يكون هناك شىء ما متعلق بالأمطار أحد الأبطال غير مبتلّ .. أو يتعلق بالمقعد الذى تغير موضعه .. أو ....

محمد :

لا شىء من هذا .. لقد توقعت هذا كله وبحثت عنه .. لكن لا جدوى .. وفى الصباح رأت زوجتى احمرار عينى والخطوط المتشابكة التى رسمتها فى ورقة ، فظنت أننى جننت أو أخطط لسرقة بنك ..

لكنى واصلت رسم أشكال تخطيطية للموقف .. وعندما جاء المساء دخلت الحمام وأحكمت إغلاقه على نفسى .. توجد نافذة لكنها مستحيلة الفتح لحسن الحظ .. ورحت ـ جالسًا على طرف حوض الاستحمام ـ أفكر فى الوسيلة التى يستطيع بها أحدهم الدخول إلىّ فى هذا السجن ..

رفعت :

لا يوجد حل على ما أظن .. ما لم تكن الرجل الخفى أو كتلة من الطاقة .

محمد :

بالعكس .. كان هناك حلّ .. وقد وصلت إليه فى الساعات الأولى من الصباح .. ودهشت لغفلتى السابقة .. إن الحلّ أبسط مما توقعت .. لكنه حلّ عبقرى .. وعلى الفور رحت أخط إجابتى على ورقة وضعتها فى مظروف وأرسلتها إلى المجلة .. ورحت أنتظر اسمى بين الفائزين فى الأعداد القادمة ..

رفعت :

لا بد أن هذا حدث مادمت تعرف أننا فى الواحدة صباحًا .. لقد نلت الساعة إذن !

محمد :

كلاّ .. صدر عددان من هذه المجلة المنحوسة ثم توقف صدورها لأسباب اقتصادية تتعلق بسعر الورق وانخفاض معدل الإعلانات .. إلخ ..

ثم دارت بى الحياة ، وبدأت فى المشاجرات مع زوجتى ، وحضور جلسات الصلح مع أسرتها ، ولم تكن أعمالى على ما يرام ، وأصيب أحد أطفالى

بحمى شوكية كاد يقضى بسببها لولا عناية الله ..

كل هذا كان كافيًا لكى أنسى الموضوع بكل تفاصيله ...

إن مشاكل الحياة غيلان تلتهم كل طيور الإبداع أو الترف الفكرى فى عقلك .. يقولون إن معاناة الفنانين تجعلهم يخلقون فنًا أصيلاً .. لا أظن .. ما كان (باخ) ليقدم لنا رائعة من روائعه لو أن زوجته سليطة اللسان وابنه فى شبه غيبوبة مخية .. أردت القول إن لغز الحمام هذا تراجع إلى مؤخرة اهتماماتى .. تراجع تمامًا ...

ثم .. حدث ما أعاده إلى ذهنى بقوة ..

كان هناك خبر فى صفحة الحوادث بإحدى الصحف يقول : ولكن .. دعنى أقرأه عليك وقل لى ما تستخلصه منه (صوت حفيف أوراق) ..

« تغرق فى الحمام إثر أزمة قلبية .. »

« كتب فلان الفلانى : توفيت زوجة فى الثلاثين من عمرها فى أثناء استحمامها ، كانت المتوفاة قد أوصدت باب الحمام عليها من الداخل وبدأت فى أخذ حمامها اليومى ، حين سمع زوجها (فلان) صرختها ، فتعاون مع الجيران على اقتحام باب الحمام ، حيث تبين لهم أن الزوجة قد غرقت فى البانيو ، وانتقل إلى مكان الحادث كل من العقيد (فلان) والنقيب (فلان) ،

ويرجح رجال الشرطة أن السيدة قد أصيبت بأزمة قلبية جعلت رأسها يسقط تحت مستوى الماء ، ولم تتمكن من الاستغاثة لأن الحمام كان موصدًا عليها ».

ما رأيك فى هذا ؟

رفعت :

لا ينقص الأمر سوى مفتشك (سراج) هذا ...

شريف :

هل تعنى أن المصادفة قد لعبت دورًا ؟

رفعت :

ربما .. فالناس يموتون فى البانيو منذ اخترعه الرومان وحتى اليوم .. وسوف يظلون يموتون فيه حتى تقوم الساعة .. إن هذا ليس دليلاً على شيء ..

محمد :

أنا أيضًا قلت ذلك لنفسى .. لكن اسم زوج الفقيدة بدا لى مألوفًا ..

مألوفًا إلى حدّ غريب ..

وسرت القشعريرة فى جسدى حين تذكرت أين قرأته .. إنه سكرتير تحرير تلك المجلة التى أفلست !

إن هذا يجعل الفرصة شبه معدومة فى أن يكون ما حدث صدفة ...

رفعت :

لحظة .. هل تظن أنه قد ؟

محمد :

حتمًا .. على كل حال .. بحثت عن اسمه فى دليل الهاتف .. وعرفت أنه يعمل حاليًا فى دار نشر كبيرة .. وقررت أن أذهب لأراه هناك .. فالفضول كان جامحًا لدىّ كى أفهم اللغز ..

رفعت :

لحظة .. لم تقل لنا حلّ لغز المجلة بعد ..

محمد :

لا تسخر منى حين أقول إننى كنت قد نسيته تمامًا .. نعم .. هذا ممكن .. لقد وجدت الحلّ بعد إرهاق عقلى كبير وبعد منتصف الليل .. ثم إننى غرقت فى المشاكل بعد ذلك .. دعك من أننى أرسلت الخطاب بمجرد استيقاظى من النوم فلم أعد قراءته .. لقد كان الحلّ عبقريًا سهلاً ممتنعًا .. وباءت كل محاولاتى بالفشل كى أجده بعد ما ضاع منى .. كانت لحظة إلهام كإلهام الشعراء سرعان ما تفنى وتذوب ..

شريف :

لنعد لقصتنا ..

محمد :

طلبت مقابلة الرجل ودخلت مكتبًا فاخرًا يجلس خلفه ثور آدمي ذو خوار .. وكان يرتدى ربطة عنق سوداء على سبيل الحداد فهو أرمل (متماسك) .. أرمل حديث العهد بالترمل ..

صافحته وعرفته نفسى .. وعزيته على فقدان زوجته .. بدا مندهشًا لإلمامى بدقائق حياته وهو لم يرنى قط ..

ذكرته بالمجلة التى كان سكرتير تحريرها ، وبأنى كنت من قرّائه شديدى النهم .. فأبدى سرورًا .. وقال إن توقف صدور المجلة خسارة فادحة .. لكنه سعيد بعمله فى دار النشر هذه التى تلقفت خبراته ونشاطه قبل أن يحاول الآخرون ..

ثم إننى دخلت فى الموضوع مباشرة ...

سألته عن مسابقة الحمام التى نشرتها مجلته قبل إفلاسها بأسبوعين .. قلت له إننى حللت اللغز وأرسلته لهم ..

بدا كمن يتذكر .. ثم ضحك متهكمًا لتفاهة اهتماماتى .. وقال :

ـ « الأمر كله كان دعابة .. لغز وجدته فى مجلة

أمريكية فقمت بتعريبه ونشره بعد تحويل المفتش (إيلرى كوين) إلى (سراج) .. »

ـ « والحلّ الصائب له ؟ »

قال بنفس الابتسامة الودود :

ـ لا أعرفه ! لم تنشر المجلة الأمريكية حلاً .. ولم أكن أعتمد على شىء سوى على رسائل القراء .. فمن يقدم حلاً يقنعنى يفز .. »

ثم تنهد .. وقال :

ـ « على كل حال .. لم يتسع الوقت لنشر الحلول .. ولم يصلنى سوى ثلاث خطابات أو أكثر قليلاً .. ولا بد أنها جميعًا تحوى حلولاً غبية »

ـ « حلى لم يكن غبيًا .. ولو سمحت لى بإحضار خطابى .... »

قال فى سأم وقد أدرك أننى لن أقدم له سوى الثرثرة :

ـ « لم تعد هناك خطابات .. لقد أحرقنا الأوراق قبل أن نغادر مقرّ المجلة للأبد .. إنها صفحة قد زالت من حياتنا .. وهاك صفحة جديدة »

ثم ابتسم ونظر لى نظرة مناشدة أن أرحل فقد طال الوقت ..

وافترقنا صديقين على ما أظن .. لكنى لن أنسى

إحساسي بنظرته الثاقبة فى مؤخرة عنقى حين أدرت ظهرى له ..

رفعت :

آه ! ذلك الخوف العتيد من الأشخاص الودودين أكثر من اللازم ..

محمد :

هو ما تقول .. لقد كان يظهر عكس ما يبطن حتمًا ..

بعد هذا بدأت المطاردة ....

مطاردة فى شارعى .. فى عملى .. فى الحافلة .. دائمًا أجد ذلك الثور الآدمى يحاول أن يتظاهر بعدم رؤيتى .. لكنه يراقبنى من بعيد .. من وراء عامود نور أو صفحات جريدة أو كتف عجوز يقف أمامه فى الحافلة .. عيناه تنمان عن شر بهيمى ..

وحين تلتقى عينانا كان يعود لارتداء قناع المودة البشوش .. فيضحك فى رقة ـ لو كانت الثيران تضحك فى رقة ـ ويقول لى كم أن الحياة حبلى بالمصادفات .. و (مصير الحىّ يتلاقى) ..

رفعت :

لا بد أن العبارة الأخيرة كانت تجمد الدم فى عروقك ..

محمد :

حتمًا .. فهى تحمل من التهديد قدر ما تحمل من الانبهار بالمصادفات ..

شريف :

وكيف عرف عنوانك ؟

محمد :

هل نسيت أن عنوانى مدوّن فى خطاب المسابقة ؟

رفعت :

إذن فلنرتب أفكارنا .. أنت تعتقد أن الرجل قرأ خطابك ؟

محمد :

بالتأكيد .. وراقت له الفكرة التى حللت بها المعضلة ..

رفعت :

بالتالى قرر استعمالها مع زوجته لأن الشرطة لن تفكر لحظة فى كون الحادث اغتيالاً .. من يدرى ؟ ربما نشر اللغز فى المجلة طالبًا اقتراحات القراء بخصوص الأسلوب الأمثل لقتل زوجته ..

محمد :

وربما فكر فى الأمر بعد قراءة خطابى .. إن النتيجة واحدة هى أن الزوجة قد قتلت بأسلوب من ابتكارى ..

رفعت :

ذلك الأسلوب الذى لا تذكر منه حرفًا ..

محمد :

نعم .. ولهذا يملك الرجل كل الأسباب التى تدفعه إلى الخلاص منى أو إسكاتى ، وأراهن على أنه يراقبنى بحثًا عن فرصة ..

رفعت :

لماذا لم تقابل رجال الشرطة ؟

محمد :

فعلت وحياتك .. ذهبت إلى مديرية الأمن وحكيت لهم شكوكى .. لكنى بدوت بالنسبة لهم مخبولاً أو مبتذلاً .. فما هى علاقتى بطرفى الحادث ؟ وما هى مصلحتى فى الإبلاغ وأنا لا أعرف مجرد اسم الزوجة ؟ ثم كيف يمكن قتل شخص فى غرفة موصدة من الداخل ؟!

قلت لهم إننى وجدت الحلّ ..

قالوا لى أن أثبت لهم كيف يتمّ هذا ...

هنا ازداد موقفى سوءًا لأنى اعترفت لهم بأننى نسيت .. لكم بدا لهم كلامى سخيفًا ومبتذلاً ! ونصحونى بالكف عن هذا الهراء قبل أن تتحول النصيحة إلى عقاب قانونى صارم ..

وزاد الأمر سوءًا أننى حين هبطت فى درج مديرية الأمن ، لمحت على الرصيف المقابل ثورًا ذا خوار يتظاهر بأنه يمشى مصادفة ـ لو كانت الثيران تمشى مصادفة ـ فى هذا الشارع بالذات ..

لقد رآنى !

والمعادلة السهلة تتضح فى ذهن الثور تدريجيًا :

أنا صاحب الحلّ + خبر موت الزوجة + سؤال عن الخطاب + مديرية الأمن + كارثة !

كارثة يمكن تلافيها بشىء من الجهد الجادّ .. والدم طبعًا !

رفعت :

الحلّ الوحيد هو إثبات كلامك لنا ولرجال الشرطة ..

محمد :

وهذه هى كارثة الكوارث .. لقد سهرت ليلتين أو ثلاثًا فى دارى أحاول العثور على حلّ دون جدوى ..

كان من حسن حظى أن زوجتى رحلت مع الطفلين غضبى كعادتها .. هى تحسب أنها بهذا تحرمنى من نعمة وجودها ، فى حين أنها تقدم لى أغلى نفائس العالم : الهدوء .

وهكذا ـ وحيدًا فى الدار ـ أحكمت غلق الأبواب ، ورحت أعيد التفكير فى حلّ لهذه المعضلة ..

المحاسب غارق فى بانيو الحمام .. الباب موصد من الداخل .. لا توجد نوافذ .. كيف يمكن الوصول إلى هذا الرجل ؟



رفعت :

ربما لو كان الحمام مغلقًا بكالون (لاتش) يفتح بمفتاح من الخارج ..

شريف :

لا أحد يغلق باب الحمام بكالون (لاتش) .. كل الناس تستعمل المزلاج .. أفكر فى احتمال وجود باب سرّى للدخول والخروج ..

رفعت :

حتى فى قصور (آل مديتشى) المشهورين بالمؤامرات ؛ لم يخطر لعبقرى سواك أن يصنع بابًا سريًا للحمام ....

شريف :

المواد المنومة ! لِمَ لا ؟ يدسّ فى شرابك مادة منومة لا تعمل إلا بعد دخولك الحمام فتغفو ويسقط رأسك تحت الماء ..

رفعت :

فكرة لا بأس بها .. لكن توقيت هذا مستحيل .. فهناك من يدخلون الحمام فور احتساء كوب العصير .. ومنهم من يتلكأ بحثًا عن منشفة أو (باشكير) .. أو لمجرد مقته للاستحمام .. ثم إن الطب الشرعى قادر بسهولة على تحديد أمور كهذه ..

محمد (فى عصبية) :

اصمتا ! إنكما توتران أفكارى .. كل هذا هراء وبعيد عن الحلّ الحقيقى .. إننى أحاول الدخول فى عالم القصة .. لهذا أحدثكما من الحمام !

رفعت :

الحمام ؟ كل هذه المكالمة ؟

محمد :

لمَ لا ؟ إن الهاتف معى ها هنا .. وقد أحكمت غلق الباب بالمزلاج من الداخل .. ولا توجد سوى نافذة واحدة موصدة بإحكام .. البانيو ممتلئ بالماء .. كما أرجو لو تساعدانى فى حل هذا اللغز ..

رفعت :

لا بد أن منظرك يشبه الأفلام الأمريكية القديمة .. فكل بطلات الإغراء كن يتحدثن هاتفيًا بينما هن فى البانيو متدثرات بفقاقيع الصابون .. يالـ (هوليوود) هذه !

محمد :

أحاول أن أحرك القشرة الرمادية التى تخنق أفكارى .. أحاول .. أحاول .. الباب .. النافذة .. الباب ..

رفعت :

قل لى يا (باشمهندس) .. ألا ترى أن بقاءك وحدك خطر فى هذه الأيام .. إذا افترضنا جدلاً أن قاتل زوجته يحاول إسكات شاهده الوحيد ؟

محمد :

بلى .. بلى .. لكنى بحاجة إلى التركيز .. كف عن الكلام قليلا .

شريف :

هذا أول متكلم يطالب الجميع بالصمت هاهنا ..

محمد :

الباب .. النافذة ... الـ ... (صوت صرير) .. هل .. هل تسمعان هذا ؟ يبدو أن توترى يجعلنى أسمع أصواتًا غير مألوفة .. و .. (رفعت) ! إنه قادم ! لقد استطاع التسلل إنه يتحرك .. خلف .. خلف هذا الستار .

ثم .. لقد تذكرت ! تذكرت الحلَ للمعضلة ! لقد دخل بذات الأسلوب .. هيه ! ابتعد عنى ! لاآآآآآه !

(رفعت) (صوت صخب وعراك من الهاتف) :

ثمة ما يحدث هنا .. هل تظن أن ؟ آلو ! آلو !

(صوت ماء ينسكب .. حشرجة مختنق يحاول التنفس) .

لقد هاجمه ! دخل بالأسلوب ذاته إلى حيث اختبأ (محمد) ..

لقد وضع هذا الأخير نفسه فى وضع مثالى للقتل .. وبالطريقة التى ابتكرها !

شريف :

هل .. هل يمكننا عمل شىء ؟

رفعت :

لا أدرى إن مصدر المكالمة .... آلو !

(سكون تام .. ثم يضع أحدهم السماعة ليغلق الخط) ..

لقد انتهى كل شيء .. وأظن أن الثور ذا الخوار نفسه هو من أعاد السماعة لمكانها وغادر المنزل كما جاء ..

شريف :

هذا شنيع ! لقد سمعنا أحداث مصرع المهندس بكل تفاصيلها ..

رفعت :

على كل حال لقد مات بعد ما أشبع فضوله .. لقد تذكر .. أما نحن فلسوف نحترق بنيران الفضول طيلة حياتنا ، ما لم ننس هذه القصة فى أسرع وقت ....

* * *



الحلقة الرابعة

الشقة رقم (9)

يحكيها : مجهول الاسم

الحلقة الرابعة

الشقة رقم (٩)

يحكيها : مجهول الاسم

« لكنهم ـ جميعًا ـ لم يتكلموا .. ربما نظر أحدهم لك بعينين زائغتين وقال شيئًا ما عن (الشقة الدنسة) .. ثم يصمت نهائيًا ..

وكان هذا هو السؤال الذى أرقنى دومًا ..

ماذا يحدث فى الشقة رقم (٩) عندما يحلّ الظلام ؟ »

المقدمة

شريف :

من جديد سيداتى سادتى نجلس جوار المذياع وأجهزة الهاتف .. لننعم بحلقة جديدة من برنامجكم (بعد منتصف الليل) .. إن نجاح هذا البرنامج يعود لكم أنتم .. فأنتم تمدون آلة الرعب بالوقود الذى يجعلها تعمل فلا تتوقف أبدًا ..

(رفعت) (يتنهد) :

أعوذ بالله من الحمق !

شريف :

معنا هنا ضيفنا د.(رفعت إسماعيل) .. إنه يدمدم بعبارات غامضة لا أسمعها لكنى أتوقع أنها تعبر عن الترقب .. الترقب الملهوف لقصتنا التالية ..

(رنين الهاتف) ..

هالو ! (شريف السعدنى) هنا .. من يتحدث ؟

صوت فتاة :

مساء الخيغ ! أنا (شيغين) .. هل دكتوغ (غفعت) يسمعنى ؟

رفعت :

أنا أسمعك يا (شيرين) .. وأرجو أن تسامحينى على نطقى الخاطئ للحروف ..

شيرين :

كنت أعيد سؤالك يا دكتوغ .. لماذا لم تتزوج حَتّى الآن ؟ هل أنت معَقد أو شىء من هذا الكبيل ؟

رفعت :

لو ترجمنا سؤالك عن لغته الفرنسية لقلنا إنك تتساءلين عن سرّ عدم زواجى .. وهل أنا معقد أم لا ؟ لا أدرى يا (شيرين).. أعتقد أننى لست معقدًا .. والدليل هو : هل تقبلين الزواج منى الآن ؟

شيرين :

هكذا فوغًا ؟

رفعت :

فوغًا يا (شيغين) ..

شيرين :

لكن .. بسغاحة .. أنت لا تعغفنى ..

رفعت :

هذا سبب كاف لأعرفك أكثر .. ثم إن لدىّ ضعفًا تجاه الفتيات ذوات اللثغة ..

شيرين :

لا .. لا ! أنت أسلع وشكلك مُغعب .. لقد كنت أمزح لا أكثغ .. باى باى !

رفعت :

وأنا كذلك أمزح يا (شيغين) .. باى باى !

شريف :

لقد أحسنت التصرف حقًا .. لقد كانت تحاول التسلية ..

(رفعت) (فى رضا) :

لقد أثرتَ هلعها .. فهى لم تتوقع أن أكون متحمسًا إلى هذا الحدّ .. ولكنى ـ برغم كل شىء ـ لا أجد نفسى مرعبًا إلى الدرجة التى تصفها ..

(رنين الهاتف) ...

شريف :

آلو ! من معى ؟

صوت رزين خافت :

لا داعى للأسماء .. فليس هذا ناديًا للمراسلة على ما أظن .. إن عندى حكاية لا بأس بها لهذا البرنامج .. فهل تسمعونها ؟

شريف :

حتمًا .. ولكن أتمنى لو رفعت صوتك قليلاً ..

الصوت :

لا أستطيع .. لدىّ أسبابى .. أنا أتحدث من الشقة رقم (٩) المبنى رقم (٢٠٣) فى شارع .. لا .. لن أقول الشارع ...

رفعت :

لا أستطيع أن أجد سببًا مقنعًا يمنع ساكنى الشقة (٩) فى مبنى (٢٠٣) من رفع أصواتهم عند الكلام فى الهاتف ..

الصوت (يضحك فى عصبية) :

لأننى متسلل يا حضرة الطبيب العبقرى ... متسلل .. فليس هذا بيتى .

رفعت :

ولماذا تسللت أيها المتسلل الغامض ؟

الصوت :

ثمة أسئلة لا يمكن الإجابة عنها إلا بالتجربة وسرد القصة كلها .. لقد ولدت فى هذا الشارع يا د.(رفعت) وأعرف كل حجر فيه .. وكل خط بالطبشور على جدرانه ..

ومنذ نعومة أظفارى وأنا أعرف أن الشقة رقم (٩) محرمة على الناس .. وأن بواب العمارة يقرأ آية الكرسى بشفتين مرتجفتين حين يصعد أو يهبط مارًا

أمام بابها .. وأن أطفال العمارة ممنوعون من اللعب أمام هذا الباب .. إنه لتحريم يسمو إلى مرتبة القداسة الدينية .. وعقاب الطفل الذى يخالف ذلك قريبة جدًا من الإعدام ..

رفعت :

أعرف .. كان هناك فى المنصورة بيت (الخضراوى) .. وكان يعامل معاملة شبيهة بهذه .. إن هذه الأماكن تتحول إلى (تابو) مقدس دائمًا ..

الصوت :

إن السماسرة يحذرون الباحثين عن مسكن من هذه الشقة ، مضحّين بفرصة لا بأس بها للكسب .. صبى الكواء يأبى الصعود إلى الطوابق التى تعلوها .. أما من يسكنون تحتها مباشرة فلا يكفون عن الشكوى من أصوات الصراخ التى تنبعث من داخلها .. والمطاردات التى لا تنتهى بين أشخاص لا تدرى من هم ...

رفعت :

لا بد أن هناك حادث انتحار أو قتل تمّ فى هذه الشقة منذ أعوام .. فالقصة هكذا دائمًا ..

الصوت :

بل هى قصة أكثر تعقيدًا .. لقد كان هناك

ـ فى عام ١٩٤٦ ـ شاب يُدعى (يوسف إسحق) .. وهو صرّاف يهودى يعمل فى أحد البنوك .. يقولون إنه كان مهذبًا جدًا .. وديعًا جدًا .. ويعيش فى هذه الشقة بالذات .. ولم يكن متزوجًا ..

كان بعض الأصدقاء يزورونه من وقت لآخر .. ولم يكن أحد الجيران يشك فى أمره بشكل خاص .. ففى تلك الأيام لم تكن حرب ٤٨ قد نشبت بعد .. والمصريون معروفون بالتسامح الدينى ، فلم يكن لديهم عداوة خاصة تجاه اليهود .. كل ما هنالك هو أن الفتى بخيل أكثر من اللازم ، معقوف الأنف أكثر من اللازم .. فيما عدا ذلك لا يوجد ما يريب بشأنه .. لكن واحدة من الجيران لاحظت ملاحظة صائبة ..

هناك من يزورون الفتى بمعدل ضيف فى الشهر أو أكثر .. كلهم يصعدون إلى شقته .. فلماذا لا تراهم ينزلون منها ؟!

لكن الجميع نسى هذا السؤال بعد حين .. فالعمارة كبيرة ولا تقع فى حىّ شعبى .. بالتالى يغدو أمر من يصعد ومن يهبط ومن يزور من .. أمرًا يستحيل الإمساك به ...

لكن الأمر افتضح ذات يوم .. وكان مهولاً مريعًا ...

لقد أمسك أحد مخبرى المديرية بالفتى عند المقطم ..

وكان يحاول الخلاص من كيس قماشى كبير .. لقد كان يقود سيارته (الأوبل) السوداء إلى هذا المكان المنعزل ليتخلص من أحماله ..

فتح المخبر الكيس بحثًا عن مخدرات فلم يجد لسوء الحظ .. كانت فى الكيس أطراف آدمية ..

رفعت :

أراهن على أن (يوسف) هذا وجد صعوبة فى تفسير موقفه .. إن تفسير وجود أجزاء بشرية فى حقيبتك عسير دائمًا ..

الصوت :

بالضبط .. إن استنتاجاتك تتسم بالعبقرية يا د. (رفعت) ..

رفعت :

وماذا حدث بعد هذا ؟

الصوت :

كانت قضية مدوية .. لقد اتضح لرجال الشرطة أن (يوسف) هذا كان يستدرج من يعرفهم إلى شقته .. ويقوم بتخديرهم .. ثم يعكف على استنزاف دمائهم بمدية خاصة ...

(شريف) (فى هلع) :

يا للهول ! يستنزف الدماء ؟ لمه ؟

رفعت :

إنه يهودى .. فلن أندهش كثيرًا لذلك .. كانت هناك قصة مريعة فى القرن الماضى عن يهود (حارة اليهود) الذين كانوا يختطفون الأطفال ـ مسلمين كانوا أو مسيحين ـ ليصفوا دماءهم .. ثم يقومون بمزج قطرات من هذه الدماء فى الفطير الذى يلتهمونه فى أعيادهم الدينية ... لا بد لهم من هذه البركة ...

شريف :

و .. وهل الديانة اليهودية بهذه القسوة ؟

رفعت :

ليست الديانة اليهودية بل ما صنعوه هم منها .. إن كتاب (التلمود) يضمّ العجب العجاب .. وفى جميع الأحوال لم يُكتشف سرّ جرائمهم هذه إلا حين قرروا تجديد قائمة الطعام بصنف جديد .. مبشر مسيحى فرنسي هو الأب (توما) الذى أحدث اختفاؤه ضوضاء عامة .. وفى هذه المرة تم القبض على مرتكبى هذه البشاعات .. لكن من يضمن ألا يعودوا إلى العمل ذاته من جديد فى أى وقت ؟ إنهم يعتبرون ذلك واجبًا دينيًا(*) ..

(*) حقيقة ..

شريف :

وهل كان (يوسف) مندرجًا تحت هذه القائمة ؟

الصوت :

بالطبع .. لقد كان لديه فى الشقة رقم (٩) كل ما يلزم لممارسة هذه الهواية المسلية .. واعترف بالتفصيل .. وتم إعدامه شنقًا بعد محاكمة حاولت ضبط نفسها .. ووسط ارتياح كبير من الرأى العام ..

رفعت :

ومن يومها ظهر الشبح فى الشقة رقم (٩) ..

الصوت :

بالطبع .. المزيد من استنتاجاتك العبقرية هاهنا !

رفعت :

ولكن شبح مَنْ ؟ شبح السفاح اليهودى أم ضحاياه ؟

الصوت :

أغلب المخمنين يقولون إن هناك عدة أشباح فى الشقة .. شبح السفاح وشبح ضحاياه .. ولهذا تدور هاهنا مطاردات لا تنتهى طيلة الوقت .. يقول قاطنو الشقة السفلية إن هناك قطرات دماء تنضح من سقف شقتهم ليلا .. لكنى أعتقد أن فى هذا مبالغة لا بأس بها ..

رفعت :

جميل ! وأنت تتحدث من هذه الشقة الآن ؟!

الصوت :

طبعًا .. الشقة رقم (٩) ذاتها ..

رفعت :

وهل بها جهاز هاتف ؟ حسبتها شقة مهجورة ..

الصوت :

جرت محاولات عدة لسكنى هذه الشقة من أشخاص حسبوا أنهم لا يبالون بهذا الهراء .. لكنهم كانوا يهجرونها دومًا بعد شهور .. آخرهم مدرّس قام بتركيب جهاز الهاتف .. ثم غادر الشقة .. وهو مواظب على دفع فاتورة الهاتف وإيجار الشقة إلى أن يجد مسكنًا آخر ينقل الهاتف إليه ..

رفعت :

شقة مسكونة مريحة حقًا ! بالمناسبة .. ماذا قال ساكنو الشقة عما يحدث فيها ؟ لا بد أنهم رأوا ما يخيف ..

الصوت :

لم يقل أحدهم شيئًا ! الصمت .. الصمت الرهيب .. وهذا هو أفظع ما فى الأمر .. فلو أنهم راحوا يثرثرون عن أشباح تعبر الصالة ليلاً أو تحرّك قطع الأثاث لبدا هذا معقولاً وتقليديًا ..

لكنهم ـ جميعًا ـ لم يتكلموا .. ربما نظر أحدهم لك

بعينين زائغتين وقال شيئًا ما عن (الشقة الدنسة) .. ثم يصمت نهائيًا ..

وكان هذا هو السؤال الذى أرقنى دومًا ..

ماذا يحدث فى الشقة رقم (٩) عندما يحلّ الظلام ؟

رفعت :

وكيف تسللت إلى المكان ؟

الصوت :

هذا هو سرّى الخاص الذى أرفض ذكر اسمى بسببه .. إن الأمر مزيج من الحيلة والذكاء مع قدر لا بأس به من خيانة الأمانة !

رفعت :

لا بد أنك تتحدث عن سرقة المفتاح من البواب .. أو .....

الصوت :

لا داعى للاستنتاجات .. إننى هنا وكفى .. والشقة مغلقة علىّ وحدى ..

شريف (فى حماسٍ) :

إنها لحلقة مثيرة حقًا .. هو ذا مراسلنا يا سادة يتحدّث لنا من قلب الشقة رقم (٩) حيث لا يجرؤ مخلوق عاقل على التواجد وحيدًا .. ولسوف يجعلنا

نرى ما يراه ونسمع ما يسمعه .. إنها لفرصة نادرة !
هل لنا أن نعرف سرّ اهتمامك بالاتصال ؟

الصوت :

بالطبع طلبًا للسلوى وأن أشعر بأننى لست وحيدًا فى هذا المكان .. ثم إننى أمقت أن أضيع عليكم الاستمتاع بفرصة كهذه ..

رفعت :

يبدو لى أنك شخص قوى الأعصاب إلى حدّ غير عادى ..

الصوت :

لأننى لا أومن بوجود عالم غير مكون من ذرات كاربون وهيدروجين .. أو بوجود شيء غير قابل للرؤية والسمع والشمّ والإحساس .. إننى مادى جدًا إذا راق لكم هذا الوصف ..

رفعت :

كنت أعتنق هذا الرأى منذ أعوام .. لكنى شفيت !
وعلى كل حال أنت لا ترى الأشعة تحت الحمراء .. ولا تسمع الترددات فوق الصوتية .. ولا تشمّ غاز الهيدروجين .. لكنها أشياء موجودة ..

الصوت :

الحديث عن الأشباح يختلف .. لكنى على كل حال

جئت بعقل منفتح تمامًا .. ولئن رأيت شبحًا الآن فلسوف أقسم لك إننى حمار كبير ..

شريف :

دعنا من هذا .. ولتحدثنا عن الشقة كما تراها ..

الصوت :

لا أرى الكثير مما يمكن وصفه .. فهى شقة من الشقق لها مزايا وعيوب كل شقة أخرى .. لا توجد وطاويط كثيرة ولا نسيج عنكبوت إذا كان هذا ما تصبو إليه ..

إننى جالس فى الظلام ـ حتى لا يرانى أحد من الجيران .. إن أضواء الشقق الموصدة تحدث مشاكل دائمًا ـ أستعين فقط بكشاف صغير أحطته بأسطوانة من الورق المقوى .. أنت تعرف طريقة المقاومة الفرنسية هذه لإرسال الإشارات إلى طائرات الحلفاء ، دون بعثرة ضوء يراه النازيون .. إنهم يفعلونها دائمًا بنجاح ساحق ..

شريف :

إذن صف لنا هذه الشقة العادية جدًا ..

الصوت :

توجد صالة ضيقة جدًا .. تقود إلى حجرة جانبية

هى التى أجلس فيها الآن .. لم يعد هناك أثاث طبعًا سوى هذا الهاتف .. وهو موضوع على الأرض وعليه سحابة كثيفة من الغبار ..

هناك غرفتان أخريان يبدو أنهما مخصصتان للنوم .. وهناك حمام يبدو أنه كان مخصصًا للطقوس إياها ..

أنا جالس على الأرض فوق خرقة من القماش كانت هناك .. معى - إلى جانب الكشاف - مسدس ألمانى من مخلفات الحرب ، ولفافة بها بعض الشطائر ، وجهاز مذياع صغير أتابع به برنامجكم ..

وبالمناسبة .. برغم ثقتى بنفسى لم أستطع أن أمنع نفسى من الجلوس وظهرى إلى الجدار ..

رفعت :

أفهم هذا .. كما أجذب أنا الملاءة ليلاً لأدارى عروق رقبتى برغم ثقتى من أن مصاصى الدماء لا وجود لهم ..

الصوت :

إن للرعب ملكوتًا غريزيًا يجبرنا على أن ..... لحظة ! أسمع صوت قطرات ماء قادمة من الحمام ! سأترككم لحظة كى أرى ما هناك ..

شريف (فى توتر) :

الزم الحذر أرجوك .. إننى ..

الصوت :

سأعود حالاً .. (صوت وضع السماعة على الأرض .. صوت خطوات ..)

شريف (بعد دقيقة) :

إن هذا الانتظار يحطم الأعصاب .. ترى ماذا سيجد ؟

رفعت :

لا أدرى .. لكن صنابير الحمام تتلف سواء فى وجود أشباح أم عدمها ..

(تمر دقيقة أخرى) ..

أعتقد أنه تأخر فعلاً ..

(صوت الخطوات من جديد)..

الصوت :

لا شىء .. إن الصنبور يحتاج إلى (جلدة) ..

رفعت (يتنهد) :

دعنى أصارحك أنك رجل شجاع حقًا .. هذا بالطبع لو لم تكن تتلاعب بنا وكل هذه تمثيلية تؤديها تحت ملاءة فراشك ..

الصوت (فى حدة) :

لو كنت تشك فى هذا دعنى أنهِ المكالمة حالاً ..

رفعت :

بل أصدقك .. إن صوتك وصوت الهواء حولك والصدى يقولون إنك صادق .. أرجو أن تستمر من فضلك ..

الصوت :

إننى فى هذه اللحظة بالذات ـ أسمع أنيناً .. كأن هناك من يتثاءب فى حجرة النوم .. هل تسمعه معى ؟

رفعت :

لا أدرى .. لا .. إن حساسية الهاتف كما تعلم ..

الصوت :

سأذهب لألقى نظرة :

رفعت :

لكن .. لا تتأخر .. (صوت وضع السماعة على الأرض والخطوات) .. أرجوك .. (يقول موجهاً الكلام لـ (شريف) .. لو أن هناك جهاز هاتف لا يحتاج لأسلاك !

شريف :

هذا نوع من الخيال العلمى .. دعنا ننتظر عودته ..

(صوت خطوات .. ثم شهقة) ..

هيه ! ماذا يحدث عندك يا أستاذ .. يا أستاذ (متسلل) ؟

الصوت (فى توتر) :

هـ .. هناك .. لا .. لا شىء فى غرفة النوم .. لكن هنا .. هناك من فتح لفافة الشطائر وقضم بعضها !

شريف :

أواثق من هذا ؟

الصوت :

كل الثقة ! أنا لم آكل لقمة واحدة منها .. إن هناك من يعابثنى هنا .. هذا يفوق كل منطق .. (رفعت) ! أنا خائف !

رفعت :

لا ألومك كثيراً .. ربما فضلت أن تغادر الشقة الآن ؟

الصوت :

لا .. لا .. إن وجود فئران هاهنا أمر وارد .. صحيح أن الفئران لا تقضم بهذا الانتظام كل هذا الحجم من الخبز .. لكنه تفسير لا بأس به .. ألا ترى هذا ؟ سأعاود الجلوس والانتظار ..

رفعت :

إن الأشباح الجائعة لا تبعث الراحة فى النفس عموماً ..

الصوت :

لن أعلق لأننى أسمع صوت خطوات .. و .. (همسًا) .. (رفعت) ! إننى أراه الآن .. إنه يعبر الصالة أمامى خارجًا من غرفة النوم ..

رفعت :

من هو ؟

الصوت (هامسًا) :

شبح رجل فى الأربعين من عمره يرتدى منامة خضراء .. أراه على .. على ضوء خافت ينبعث منه شخصيًا ! إنه يضىء كأرقام الساعة فى الظلام ..

إنه .. إنه يمشى بتؤدة متجهًا إلى الحـ .. الحمام !

(رفعت) ! أنا خائف ! أنا أحمق كبير !

رفعت :

إذن ـ وقد أثبتَ وجود أذنين كبيرتين ـ يمكنك الفرار ..

الصوت (هامسًا) :

لا أستطيع عبور الصالة .. سيرانى ! ولكن .. ها هو ذا يدخل الحمام .. أعتقد أنه لم يرنى قط ..

صوت مياه .. إنه يفعل شيئاً ما بالداخل .. ثم .. هو ذا عائد إلى غرفة النوم .. لقد اطفأت الكشاف .. الظلام دامس إلا من ضوء الرجل الخاص .. إنه يرمق غرفة الهاتف في ريبة .. لو دنا منى فلسوف .....

حمدًا لله ! إنه يواصل مسيرته ..

لقد اختفى عن عينى أخيرًا ..

رفعت :

أشباح هذا البيت غريبة حقًا .. بعضها جائع وبعضها مصاب بسلس البول ..

شريف :

هذا طبيعي .. فهم يمارسون حياتهم كما كانت .. واضح أن ذا المنامة الخضراء هو (يوسف إسحاق) ذاته ..

الصوت :

من جديد يسود الصمت .. سأثير الكشاف من جديد ..

الشقة خالية تمامًا .. سأحاول الآن أن أقوم بجولة تفقدية .. سأرى ما يوجد فى غرفة النوم هذه !

شريف :

لا تفعل ! لقد أثبتَ ما تريد .. حاول الآن إثبات سرعتك فى الركض ..

الصوت :

لا .. لابد من أن .. لكن لحظة ! هذه المـرة توجد فتاة شابة حسناء .. إنها فى السادسة عشرة مـن عمرها أو أكثر قليلاً .. ترتدى قميص نـوم أسـود .. إنها تعبر الصالة .. بل هى تتجـه إلـى .. إلـى الغرفـة التى أنا فيها !

رفعت :

لا بد أنها من ضحايا السفاح .. هلا حاولت أن ..... ؟

(صوت صرخة أنثى) ..

هيه ؟ ماذا يحدث عندك ؟

صوت فتاة :

بابا ! ماما ! تعاليا حالاً (يبتعد الصوت) ..

الصوت :

حسن .. لقد فرّت منّى .. والآن يا دكتور (رفعت) حان وقت الوداع .. لقد استمتعت بالحديث معك .. وأعدك أن أكرّر التجربة مرارًا ..

رفعت :

ما هو اسمك يا سيّدى ؟

الصوت :

اسمى هو .. (يوسف) !

(صوت ضجيج .. أشخاص يتحدثون فى صوت واحد) ..

صوت الفتاة :

هو ذا ! أقسم إننى وضعت السماعة بنفسى قبل النوم .. وها هى ذى مرفوعة وموضوعة جوار الهاتف !

(صوت رجل) :

إذن لم تكونى أنت فى حجرة الجلوس ! لقد رأيت الضوء وحسبتك تحدثين (نرمين) كعادتك ليلاً .. بل سمعت صوتًا ..

(صوت امرأة) :

إذن هو (بسم الله الرحمن الرحيم) كما قالوا لنا ! إن الشقة مسكونة !

الرجل (غاضبًا) :

اصمتى ولا تكونى بلهاء .. الأشباح لا تتسلّى بالكلام فى الهاتف ليلاً ..

الفتاة :

لكن .. هناك شخصًا ما على الطرف الآخر من الخطّ !

الرجل فى حزم :

آلو !

رفعت :

د. (رفعت إسماعيل) يا سيدى .. مساء الخير !

الرجل :

مساء الهباب ! من أقحمك على الهاتف ؟

رفعت :

إن لدىّ بعض الاستنتاجات .. لكن قل لى أولاً : هل ترتدى منامة خضراء ؟

الرجل :

أتعاكس فى ساعة كهذه يا وقح ؟

رفعت :

إن أساليب المعاكسة الهاتفية متعددة .. لكنها لا تتضمن أن أرفع السماعة من عندك بالتأكيد .. هذا أسلوب فذّ للمعاكسة .. قل لى : منذ متى جئت إلى هذه الشقة ؟

الرجل :

منذ أسبوع .. لماذا تسأل ؟

رفعت :

لأننى أثرثر منذ ساعة مع من يدعى (يوسف) .. وقد جعلنى أعتقد أنه هو الضحية وأنتم الأشباح .. تصبحون على خير يا سيدى .. (يضع السماعة) ..

شريف :

هل .. هل تعتقد ؟

رفعت :

بالطبع .. لقد عرفت أشباحًا كثيرة مصابة بالملل وترغب فى المزاح القاسى مع البشر .. وأعتقد أن ساكن الشقة رقم (٩) الجديد لن يظلّ بها طويلاً .. لقد كنا نحدث (يوسف إسحاق) ذاته !

شريف :

والشطائر .. والكشاف .. والشقة الخالية من الأثاث .. والمسدس ؟

رفعت :

كذب .. ألاعيب لا أكثر .. لقد كان فى كلامه شيئان أثارا انتباهى للحظة ثم نسيت الأمر .. لقد تحدث عن المقاومة الفرنسية للنازيين باعتبارها ذكرى قريبة جدًا (وما زالت تحدث) .. ثم هو يتحدث عن مسدس ألمانى من مخلفات الحرب .. كيف يحصل شاب مصرى فى عام ١٩٦٩ على مسدس ألمانى من عام ١٩٤٣ ؟ إن الشبح ما زال يعيش بعقلية عام ١٩٤٦ الذى شنق فيه !

شريف :

إذن تسلل أثناء نوم الأسرة إلى الهاتف ليتصل بنا ..

رفعت :

أعتقد هذا .. وأعتقد أيضًا أن حياة الأسرة ستكون مفعمة بالمفاجآت طالما أقامت فترة أطول فى الشقة رقم (٩) هذه ..

* * *



الحلقة الخامسة

قُلْ لى يا (أونكل)

تحكيها : نهال فاروق

الحلقـة الخامسـة

قُلْ لى يا (أونكل)

تحكيها : نهال فاروق

« إن وجود تمثـال للشيطان ـ والعياذ بالله ـ فى مكتبك لأمر جدير بإثـارة الريبـة فـى حـالتك النفسية والعقائدية » .

المقدمة

شـريف :

مساء الخير .. أو ـ للدقة الجغرافية ـ صباح الخير .. إن مذيعكم (شـريف السعدنى) معكم علـى الهـواء مباشرة .. لنبدأ برنـامجكم المفضل (بعـد منتصـف الليل) .. والبرنـامج كمـا تعرفـون قـائم علـى تلقـى مكالماتكم التى تحكى قصصًا مثيرة أو مرعبة ..

رفعت :

إن قصصكم هى وقود آلة الرعب التـى لن تتوقف أبدًا ..

شـريف (فى عتاب) :

هذه كلمتى المفضلة ..

رفعت :

أرحت نفسى من سماعها للمـرة المليـون .. إن الوقوف خلف المدفع يختلف كثيرًا عن الوقوف أمامه .. وأن تثير أنت ملل الآخرين لخير من أن يثيروا هم مللك .. و .. (رنين الهاتف) ..

شريف :

آلو ! هل لى أن أتشرف بمعرفة المتحدث ؟

صوت غليظ :

أنا (عباس) .. لقد استمعت إلى الحلقة السابقة من البرنامج وبدت لى سخيفة .. أنتم تستخفون بعقول المستمعين ..

شريف :

أكرر مرة أخرى أن المستمعين هم صانعو الحلقة لا نحن .. لكنى لا أفهم ما لم يرق لك بالضبط ..

عباس :

موضوع الرجل الذى يحاصره الذباب حيثما ذهب .. تقولون إنها لعنة معينة جعلته لا يجد لحظة راحة واحدة(*) ..

أنا شخصيًا محاط بحشد هائل من الذباب .. دون أن أرى فى هذا ما يستحق التهليل والتحليل ..

رفعت :

لا يصعب علىّ استنتاج مشاكلك مع مياه الحمام .. على كل حال أعدك بألا نستخف بعقول المستمعين ثانية ..

(*) تقرءونها بالتفصيل فى (أسطورة ملك الذباب) ..

(رنين الهاتف من جديد) ..

شريف :

مرحبًا .. (شريف السعدنى) يتحدث .. من معى ؟

صوت طفلة :

أنا (نهال) يا أونكل (شريف) .. (نهال فاروق) ..

شريف :

أرجو ألا يكون اتصالك جزءًا من طقوس العشاء ..

نهال :

لا أفهم .. أنا فى السابعة من عمرى .. فى الصف الثانى .. ما معنى (طقوس) ؟ إن أبلة (مها) لم تعطها لنا فى المدرسة ..

شريف :

لا عليك .. هل أنت وحدك ؟

نهال :

بابا نائم .. وماما سافرت ..

شريف :

سافرت ؟ إلى أين ؟

نهال :

لا أدرى .. مرضتْ طويلاً ثم لم تعد فى البيت ..

بابا يقول إنها سافرت ! لم أرها منذ عام .. (مايسة) تقول إنها ماتت .. أنا لا أدرى كيف يموت الناس .. ربما مثل ما حدث للكتكوت الذى ابتاعه بابا من السوق لى .. فجأة لم يعد يأكل ولا يشرب ولا يزقزق .. صار نائمًا طيلة الوقت .. بعدها قال بابا إن الكتكوت قد مات .. ودفنّاه فى الحديقة فى علبة شاى قديمة ..

شريف :

وهل حزنتِ عليه ؟ ..

نهال :

قليلاً .. لم يكن مسليًا جدًا .. لكن ماما كانت طيبة وتغنى لى قبل النوم ..

شريف :

لكن ماما سافرت ولم .....

(هنا نظرتْ له نظرة جعلته يسكت .. لا داعى للاسترسال فى الخداع المزرى لهذه البائسة الصغيرة .. إن الصمت هو خير سياسة) ..

لماذا اتصلت وحدك يا (نهال) ؟ ماذا أبقاك ساهرة إلى هذه الساعة ؟

نهال :

أنا .. أنا خائفة يا أونكل ..

رفعت لـ (شريف) :

هذا هو بيت القصيد .. إن خوف الأطفال يخفى دائمًا أتفه الأسباب أو أشنعها ..

نهال :

هل أحكى القصة من أولها ؟

شريف :

طبعًا .. طبعًا .. خذى راحتك ..

نهال :

بابا يعمل فى الآثار .. إنه يبحث عن آثار هؤلاء الناس الذين كانوا يعيشون فى مصر زمان .. وقد أخذنا كثيرًا إلى المتحف المصرى وإلى الأقصر وأسوان .. رأينا هناك تماثيل كبيرة جدًا .. وأخذنا إلى السيرك فى العام الماضى حيث رأينا الأسود ..

رفعت (فى حنان) :

هكذا الأطفال .. أفكارهم خيول جامحة لا تثبت على درب واحد .. كنت تتحدثين عن آثار قدماء المصريين يا حلوة .. لسنا فى السيرك هنا ..

نهال :

نعم .. نعم .. الآثار .. كان بابا يحضر إلى البيت كثيرًا من الأشياء .. أشياء حلوة .. تماثيل .. أوراق صفراء ملفوفة .. وفى مرة أحضر يد فتاة قديمة .. لم يُرنى إياها .. لكنى دخلت مكتبه لألعب ووجدتها فى الدرج .. يد سوداء قبيحة خفت منها كثيرًا .. لكن بابا قال لى إنها لا تؤذى ..

رفعت :

والدك يحضر معه ما يجده من آثار ؟!

نهال :

نعم .. ثم يأتى عمو (صليحة) .. ويشتريها منه .. إنه يأتى دائمًا ليلا .. وهو يرتدى جلبابًا أبيض وعمامة !

رفعت :

والدك يبيع الآثار لـ (عمو صليحة) هذا !

نهال :

نعم .. نعم .. (تبتلع ريقها من فرط الحماس) .. وبابا يشترى لنا الأكل وأشياء حلوة كثيرة بهذا المال !

رفعت :

إن الأطفال لا يحفظون سرًا .. الآن أنا متأكد من أن أباها نائم فى عمق ..

نهال :

وفى يوم من الأيام أحضر بابا لنا تمثالاً صغيرًا لستّ .. تمثالاً وجده وهو يحفر ..

شريف :

(ستّ) ؟ تعنين امرأة ؟

رفعت :

بل (سيتْ) إله الشر عند الفراعنة وعدو (أوزيريس) اللدود .. إن حفظ الاسم ليس عسيرًا على الأطفال يا (شريف) :

نهال :

كان التمثال مخيفًا .. لكن بابا ظلّ يتأمله طيلة الليل .. كلما صحوت وذهبت إلى الحمام أجده جالسًا فى الصالة ينظر للتمثال بنفس الطريقة ..

ماما لاحظت ذلك .. وقالت لى (هذا التمثال ملعون) .. لم أفهم ما تعنيه يا أونكل (رفعت) .. لكن هذا هو ما قالته ..

فى الصباح قال بابا نفس الكلام .. لكنه لم يرم التمثال أو يبيعه .. بل وضعه على المكتب .. ومن يومها وهو هناك ..

رفعت :

هذا شائق .. يبدو أن التمثال مسّ شيئًا ما فى أعماقه ..

شريف :

لكن (ستَ) لا وجود له .. إنه مجرّد إله وثنى .

رفعت :

بعض المفكرين يرون أن (ستَ) محاولة وثنية متخلفة للتعبير عن الشيطان .. إن وجود تمثال للشيطان ـ والعياذ بالله ـ فى مكتبك لأمر جدير بإثارة الريبة فى حالتك النفسية والعقائدية ..

نهال (محنقة) :

هل ستتكلمان .. أم تتركانى أتكلّم ؟

شريف :

بل سنخرس يا (نهال) .. تأكدى من هذا ..

نهال :

بعد أسبوع من حصول بابا على تمثال (ستَ) جاءنا عمو (صليحة) ليلاً .. دخلت لهما بالشاى الذى أعدّته ماما .. كانا يتشاجران بصوت عال ـ بابا وعمو ـ ولم يلاحظا دخولى الحجرة .. مثلاً كان بابا

يقول له (أنت لصّ ! ما زلت مدينًا لى بألف جنيه) .. وعمو (صليحة) يقول (عليًا الطلاج لن تتقاضى منى مليمًا أحمر) ..

شريف (بحذر) :

هل تعرفين معنى (عليا الطلاج) هذه ؟

نهال :

لا .. سمعتها مرة فى السينما .. يبدو أنها قسم ما .. المهم أنهما كانا يقولان كلامًا كثيرًا من هذا النوع .. كان بابا غضبان جدًا .. ولم يشرب عمو (صليحة) الشاى .. بل نهض وقال (أنت المسئول يا فاروج بيه) ..

هنا رأيت بابا ينظر له .. ينظر له نظرة مخيفة .. رأيت لون (النّنى) فى عين بابا قد صار أحمر .. أقسم لك يا أونكل .. (عليًا الطلاج) كان أحمر !

رفعت (فى ضيق) :

هذا هو أثر السينما وعدم انتقاء الكبار لألفاظهم أمام الأطفال .. (نهال) .. هذه الكلمة سيئة وبذيئة جدًا .. أفهمت ؟



نهال :

حسن .. المهم أننى خفت من بابا كثيرًا .. يبدو أن عمو (صليحة) أيضًا قد خاف لأنى رأيته يرتعش .. يرجع للوراء .. ثم يترك الدار سريعًا .

ثم .. ثم ظلّ بابا جالسًا وقد غطى وجهه .. كان يرتجف .. وأفزعنى كثيرًا .. فجأة سمعنا صوت فرملة من الشارع ..

كان هناك ناس كثيرون .. وبابا منعنى من الخروج .. لكنى سمعته يقول لماما بعد ما عاد من الخارج إن عمو (صليحة) داسته عربة ..

لقد مات كتكوتى الصغير .. فى هذه الليلة لم أنم ..

قل لى يا أونكل .. هل سيضعونه فى علبة شاى ويدفنونه فى الحديقة هو الآخر ؟

رفعت :

لا يا (نهال) .. فلا توجد علبة شاى تناسب حجمه .. للأسف ..

نهال :

بعد هذا جاء دور عمو (فرج) الجناينى ..

شريف :

آآخرون ؟ هذا مريب حقًا ..

نهال :

كنت أحبه كثيرًا .. كان يعطينى الخرطوم لأروى الزرع بدلاً منه .. وفى مرة اصطاد يعسوبًا وربط ذيله بخيط .. وجعلنى أمسكه ..

وجدته يتشاجر مع بابا .. يبدو أن بابا طلب منه شيئًا ولم يفعله .. هنا لمحت بابا ينظر له ذات النظرة .. كان (النّنى) أحمر فى عينه .. وراح عمو (فرج) يرتجف ..

فى المساء جاء الطبيب وقال إن عمو (فرج) مريض جدًا .. فى اليوم التالى لم يعد موجودًا .. قالت ماما إنه سافر ..

رفعت :

وماذا فعل والدك ؟

نهال :

لا شيء .. أحضر تمثالاً آخر لامرأة ترضع طفلاً ووضعه جوار تمثال (ستَ) .. لكنه ظلّ يجلس أمام (ستَ) كثيرًا جدًا ..

رفعت :

(إيزيس) وابنها (حورس) .. لقد ظن (فاروق) بيه أن (إيزيس) قد تملك القدرة على مقاومة شرّ (ستَ) .. كما ظن الفراعنة قديمًا .. لكنى أتساءل : لماذا لم يتخلص من التمثال ؟

شريف :

لقد استحوذ على روحه تمامًا .. هذا واضح ..

وبعد هذا يا (نهال) ؟

نهال :

بعد هذا تشاجر بابا مع جارنا .. يبدو أن طانط (سمية) قد جعلت خادمها يلقى القمامة فى حديقتنا .. ونجح الجيران فى مصالحتهما ..

لكن عمو (صبرى) ـ جارنا ـ مات فى حريق كبير

فى الليلة ذاتها .. كانت النار تتصاعد من بيتهم .. وجاءت عربة المطافئ بلونها الأحمر الجميل .. أنا أحب عربة المطافئ .. لكنى كنت خائفة من النار ..

رفعت :

ألم تقل أمك شيئًا ؟

نهال :

صحوت من النوم لأجدها تقول لأبى إنها مندهشة أو شيء من هذا القبيل .. قال لها بابا إنه لا يعرف السبب .. لكنه يعتقد أن (اللى بيجى عليه مايكسبش) ..

رفعت :

وهل كان والدك معكم حين حدث الحريق ؟

نهال :

طبعًا .. كنا نتفرج على فيلم مضحك جدًا فى التلفزيون .. لكن بابا كان شاردًا .. وأكثر من مرة غطى وجهه بيده ..

بعد هذا تشاجر أبى مع ضابط مرور .. وسمعت بعدها أن الضابط مات ببطنه .. إنه ذلك الشيء الذى ينفجر ..

رفعت :

الزائدة الدودية ! لا يمكن اتهام أحد هذه المرة ..

لكنى ألاحظ إن أباك كثير الشجار حقًا ؟

نهال :

ماما تقول إن بابا (دمّه حامى) ..

لكنى رحت أسألها : لماذا يموت أو يسافر كل واحد يتشاجر مع بابا ؟

قالت لى (اللى بيجى على بابا مايكسبش) ..

لكنها تشاجرت معه هى أيضًا !

رفعت :

حقًا ؟ أكان هذا منذ عام تقريبًا ؟

نهال :

نعم .. صحوت عند منتصف الليل على صوت الصراخ ، كانت أمى تقول كلامًا مثل (لقد أفسدت حياتنا) و (تخلص منه أرجوك) .. وبابا يقول لها (أنت جاهلة) و(أبعد كل هذا التعب ؟) ..

مشيت حافية لأسمع أكثر ..

ومررت أمام باب غرفة المكتب المفتوحة .. عندما .....

شريف :

آ ه ه ه ! وما .. ماذا رأيت ؟

نهال :

كان التمثال يضيء بضوء أحمر .. ضوء يخرج من العينين .. مثل اللعبة التى تعمل بحجارة البطارية عندى .. لعبة دبّ تضيء عيناه وأنفه .. ويمشى وهو يدق طبلاً ..

فى نفس الوقت سمعت ماما تصرخ :

ـ « (فاروق) .. لماذا تنظر لى هكذا ؟ (فاروق) ! ماذا أصاب عينيك ؟ »

وبعدها انطفأت عينا التمثال ..

وجريت أنا خائفة إلى الفراش .. فغطيت وجهى وأنا أرتجف ..

رفعت لـ (شريف) :

هذا الجزء يفسر كل شىء .. إن التمثال هو المعادل الموضوعى للأب .. وهو يرسل إشارة الشرّ إليه فى لحظات الغضب ..

لـ (نهال) .. بعد هذا مرضت أمك طبعًا ؟

نهال :

فى الصباح لم تنهض من الفراش .. ولم تعدْ لنا

الإفطار مع دادة (سعدية) .. وقال بابا إنها مريضة .. وجاءت خالتى (زهيرة) لتأخذنى لدارها حيث ألعب مع (مايسة) و (مجدى) ..

بعد أسبوعين عدت للبيت حيث أخبرنى بابا أن ماما مسافرة .. ومن يومها وأنا أعيش مع بابا وحدنا ..

أنا أحبه كثيرًا .. لكنى خائفة منه ومن التمثال .. وخائفة من أن يتشاجر معى وتحمرّ عيناه ..

رفعت :

لهذا نهضت من النوم وجئت تتصلين بنا .. كيف عرفت الرقم ؟

نهال :

بابا كان يريد أن يكلمك ! وجدت النمرة جوار الهاتف ..

والآن قل لى يا أونكل .. ماذا أفعل ؟

رفعت لـ (شريف) :

يمكننا الآن فهم القصة .. إن تمثال (ستّ) قد أصاب الرجل بلعنة خاصة جدًا : إن من يثير غضبه يحكم على نفسه بالموت .. ونظرته شبيهة بعلامة (الليزر) الحمراء التى يصوبون بها على الهدف فى البنادق الحديثة ..

والآن اسمعى ما أقول يا (نهال) ونفذيه حرفيًا ..

هل أنت خائفة من الخروج إلى الحديقة الآن ؟

نهال (بعد صمت محرج) :

نعم ؟ أنا خائفة .. لا .. لا .. لست خائفة !

رفعت :

هذا جيد .. الخطر لا يكمن فى الحديقة بل فى هذا البيت الذى تتكلمين منه .. قولى لى .. هل عندك علبة صغيرة ؟ أى علبة ؟

نهال :

نعم .. نعم .. عندى علبة كبيرة كنت أضع فيها دميتى ..

رفعت :

حسن .. ستدخلين إلى المكتب الآن .. وتضعين تمثال (ستّ) مع التمثال الآخر - تمثال الأم - فى ذات العلبة .. بعد هذا تخرجين إلى الحديقة .. وتدفنين العلبة كما فعلت بالكتكوت .. مفهوم ؟

نهال (فى تردد) :

لكن .. لكن .. الظلام .....

رفعت :

الظلام ليس مخيفًا .. المخيف هو ما ينتظرك لو لم تفعلى ما أقول ..

شريف :

ماذا تحاول عمله بالضبط ؟

رفعت :

لا أدرى هل تنجح أم لا .. إن (إيزيس) هى عدو (ستّ) الدائم .. (إيزيس) هى الجمال والأمومة والخصوبة والحنان .. ربما لو دفناها مع (ستّ) كانت قادرة على إبطال شره ..

شريف :

كلام نظرى أكثر من اللازم ..

رفعت :

هيا يا (نهال) .. تحركى ..

نهال (مذعورة) :

لا وقت يا أونكل .. لقد استيقظ بابا ! قل لى يا أونكل : ماذا أفعل ؟

صوت غليظ يمسك السماعة :

آلو ! لقد كنت أتنصت لسماع ما تقوله (نهال)

يا دكتور (رفعت) .. عرفت أنها تحدثك .. وأنها جعلت من أبيها وحشًا كاسرًا مرة .. وضحية للسحر الأسود مرة أخرى .. هذه الفتاة تهرف يا د.(رفعت) .. تهرف .. ولسوف أعرف كيف أربيها !

نهال (فى هلع) :

لااااه ! إننى أقول الصدق يا أونكل !

(صوت نزاع على سماعة الهاتف) .. بابا ! لا تنظر لى هكذا ! ماذا دها عينيك ؟

رفعت (صارخًا) :

(نهال) ! افعلى كما قلت ! اركضى إلى المكتب حالا ..

نهال :

سأفعل .. سأفعل ! (صوت خطوات تركض) ..

الأب (صوته يبتعد) :

أيتها اللعينة ! سأعرف كيف .....

(صوت مطاردة ، صراخ ، أبواب تنغلق) ..

شريف :

ليتنى أعرف ما يدور هناك ..

رفعت :

إن أسلوب الهاتف هذا يشعرنى بالعجز .. لا أذكر

كم مرة سمعت صوت جريمة قتل وأنا لا أدرى كيف أتصرف ..

الأب (لاهثًا) :

لقد فرّت المجنونة إلى الحديقة ومعها تمثال فرعونى كان على مكتبى .. لن أجدها فى هذا الظلام .. هلا فسرت لى ما يحدث هنا ؟

رفعت :

أعتقد ـ بعد هذه المكالمة ـ أنك الأجدر بالتفسير ..

الأب :

تفسير ماذا بالضبط ؟

رفعت :

مصرع (صليحة) .. ومصرع الجناينى (فرج) .. وجارك الذى تشاجرت معه .. ورجل المرور .. وزوجتك ..

الأب :

أولاً : زوجتى تعانى من السرطان منذ عامين .. إنها نهاية محتومة ..

ثانيًا : الجناينى أصيب بأزمة قلبية وهذا مسموح به كما أظن ..

ثالثًا : جارى أحمق حاول إحراق القمامة فى حديقته ولم يدر أن الريح تتحرك فى اتجاه داره .. أما عن رجل المرور فلا أعرف عنه شيئًا .. ومن العسير أن أتشاجر مع رجل مرور عمومًا ..

رفعت :

لماذا ؟

الأب :

لأننى لا أملك سيارة .. هذا من حقى على ما أظن ..

رفعت :

وماذا عن تاجر الآثار (صليحة) هذا ؟

الأب :

لماذا أتعامل مع تاجر آثار وأنا محام ؟!

رفعت (مذهولاً) :

محام ؟ محام ؟ لكنها قالت ......

الأب :

نعم محام يا سيدى .. هو ذا عنوانى (يذكر العنوان) ورقم هاتفى (يذكر الرقم) .. يمكنك أن تتصل بهذا الرقم للتحقق من المعلومة التى أؤكدها .. إن لى صديقًا يدعى (صليحة) .. لكنه حىّ يرزق حتى هذه اللحظة ..

رفعت :

وتمثال (ستّ) هذا ؟

الأب :

لدىّ تمثال فرعونى فى مكتبى ابتعته من (خان الخليلى) .. ولا أدرى من يمثّل .. إن التماثيل الفرعونية كلها تتشابه ..

شريف :

لكن (نهال) حكت قصة معقدة جدًا عن لعنة (ستّ) التى أصابتك ، وجعلت لك نظرة مهلكة لكل من يثير غضبك ..

الأب :

هذه هى مشكلة الطفلة .. إنها تعيش فى عالم خيالى دائم .. وتخلط بين الحقيقة والخيال .. إنها لا تثق بى .. وتؤمن بأننى أحاول الفتك بها .. يقول الطبيب النفسانى إن هذا ناجم عن مشاجرتى الأخيرة مع أمها والتى تلاها تدهور الأم مباشرة .. ثم إرسالها لتعيش عند خالتها .. وحين عادت كانت الأم قد ماتت ـ رحمها الله ـ وقيل لـ (نهال) إنها قد سافرت .. كل هذا جعل (نهال) تعتقد أننى خصمها .. وأننى سبب فقدها للأم .

ثم إن (نهال) تملك هواية تلفيق أحداث لم تكن ، ولها موهبة قصصية غير عادية .. وذكاء يفوق عمرها بمراحل ..

لقد داعبت الجميع مداعبة قاسية .. خدعتكم وأساءت إلى سمعتى .. لكن الحقائق لا تخرج من أفواه الأطفال دائمًا .. أنا كرجل قانون أعرف هذا ....

رفعت :

الحق أن هذا وضع محير يا أستاذ (فاروق) .. كلامك يحتمل الصواب تمامًا .. وكلامها يحتمل الصواب تمامًا .. من العسير معرفة الحقيقة ..

على كل حال .. أشكرك .. وأرجو أن تعاود البحث فى الحديقة عنها .. وحاول ألا يؤذيها شىء فى الأيام القادمة ، وإلا تأكدنا من صواب قصتها .. (يضع السماعة) ..

شريف :

ما رأيك فى كل هذا ؟

رفعت :

لحظة .. ليس قبل أن أطلب الرقم الذى ذكره .. لقد دوّنته هنا .. (يدير قرص الهاتف .. صوت رنين متصل) ..

شريف :

لا أحد هنالك ..

رفعت :

هذا دليل كاف على صدقه .. من الطبيعى أنه يبحث عنها فى الحديقة الآن .. ولو كان الرقم زائفًا لردّ علينا شخص متذمر أو امرأة مذعورة إثر الاستيقاظ من النوم .. وعلى كل حال يمكننا التأكد من العنوان غدًا ..

شريف :

ألاعيب الأطفال هذه !

رفعت :

لن نكف عن التعلّم طيلة حياتنا .. وفى كل لحظة ندرك أننا مازلنا سهلى الخداع كالأطفال .. لكننى أومن بأن هذا البيت يحوى مأساة إنسانية حقيقية آمل أن يعالجها الأطباء ..

نعم نحن لن نكف عن التعلم وارتكاب الحماقات ، حتى تحين ساعتنا وندفن فى صناديق شاى كبيرة تحت تراب الحديقة ..

* * *



الحلقة السادسة

الحافلة

يحكيها : عباس الدكرورى

الحلقة السادسة
الحافلة

يحكيها : عباس الذكرودى

« لا شىء على الإطلاق .. الشارع المقفر المظلم فى ضوء واهن لعمود نور واحد نسيت البلدية أن تهشم مصباحه .. لاشىء .. لافتاة .. لا رجل .. »

المقدمة

شريف :

صباح الخير أعزائى .. هو ذا (شريف السعدنى) معكم فى الساعات الأولى من يوم الجمعة .. ونحن بانتظار قصتنا التالية التى أرجو ألا تقل جودة عن قصة الأسبوع الماضى ..

رفعت :

هذا ما أرجوه .. وأتعشم أن تخلو من مصاصى الدماء والمذءوبين والقبور المفتوحة لأن هذا قد صار مملاً ..

شريف :

إن هذه هى مفردات الرعب يا د. (رفعت) ..

رفعت :

بالعكس .. هذه هى مفردات الرعب لدى القصص المصورة ومجلة (أ. س. كومبيكس) .. لكن الرعب عالم لا ينتهى .. وكما قلت لك فى أول حلقة إن الرجفة التى تشعر بها حين تجد جهاز التلفزيون يعمل وحده ، لتعادل أى رعب تحدثه الوطاويط والمومياوات الحية ..

ثم إن هناك بُعد الرعب النفسي .. حين تشعر بأنك عاجز عن معرفة ذاتك .. شيء ما في داخلك يتغير ولا تدرى كنهه ..

(رنين الهاتف) ..

شريف :

آلو ! من المتكلم ؟

صوت قلق :

أشعر أنني عاجز عن معرفة ذاتي .. شيء ما في داخلي يتغير .. ولا أدرى كنهه !

رفعت :

يا لها من مصادفة ! إنه يمزح إذن !

شريف :

لا أظن .. ما كان ليملك ردّ فعل بهذه السرعة .. من أنت يا سيدى ؟

الصوت :

أنا .. أنا ..... (يغلق السماعة) ..

شريف :

لقد أنهى المكالمة .. دعابة ثقيلة هي حقًا ..

رفعت :

الحق أنه اتصل بنا أسرع من اللازم كما تقول .. وإننى لأتساءل ..... (رنين الهاتف) ..

شريف :

آلو .. هل أنت الأخ الذى يتغير داخله ؟

صوت غليظ :

عم تتحدث ؟ أنا (عباس الدكرورى) ..

شريف (متداركا) :

مرحبًا بك في برنامجنا يا أخ (عباس) .. يمكنك أن تحكى مشكلتك ..

عباس :

أنا .. أنا محصل التذاكر في حافلة .. لن أذكر رقمها ولا الخطَ الذى أعمل عليه .. لا أريدهم أن يعرفوا من أنا .....

شريف :

تفكير حويط لولا أنك ذكرت اسمك الكامل ..

عباس :

بالطبع هو اسم مستعار .. ظننتك نبيهًا متعلمًا لتحدس ذلك ..

رفعت :

(عباس الدكرورى) ! اسم معقد جدًا كي يتم ابتكاره .. إنك تملك موهبة أدبية لا شك فيها يا أخ (عباس) ..

عباس :

كان هذا هو اسم (صول) عرفته فى الجيش .. وهو ما تبادر إلى ذهنى قبل الاتصال .. المهم .. دعنا من هذا الكلام الفارغ ..

قلت لكما إننى محصل تذاكر .. وقد فرغت من عملى منذ ساعتين .. لقد حكيت مشكلتى للجميع لكن لا أحد يهتم بها ولا أحد يصدق ..

لهذا أردت أن أجرب هذا البرنامج ..

أتحدث إليكما من هاتف البقال الذى أسهر معه حتى الفجر .. إنه صديقى الوحيد .. ومحله تحت دارى مباشرة .. لكنه ليس جوارى الآن ليسمع حرفًا مما أقول .. (صوت قرقرة) .. لا أستطيع النوم ما لم آخذ كرسيًا من المعسل معه .. (صوت قرقرة) ..

رفعت :

جميل منك أن تبدأ بوصف الظروف البينية .. لكنى أقترح أن تدخل فى الموضوع مباشرة ..

عباس :

(سعال) .. كح كح ! توه توه ! صبرك علىّ ! كح كح ! كنت أقول إننى محصل .. محصل ماذا ؟

رفعت :

تذاكر .. على خطٍ لن تذكره ..

عباس :

اللّه ينوّر عليك .. (صوت قرقرة) .. بدأ كل شيء من شهر .. لا بل من شهرين .. كنت أعمل فى وردية المساء .. وأنا أحب العمل مساءً لأنه أكثر راحة .. الازدحام قليل .. وضغط العمل معقول جدًا .. ثم إن زبائن الليل أكثر هدوءًا وأقل عصبية ، وأكاد أعرفهم واحدًا واحدًا .. فهم يتكرّرون أكثر الوقت ..

صعدت تلك الفتاة إلى الحافلة ، ومدّت يدها بورقة نقد تطلب تذكرة .. كنت جالسًا فى مقعد المحصل نصف غافٍ .. لكنى رأيت أمامى أجمل وجه رأيته فى حياتى .. أية تقاطيع ! أية عينين ! صحيح أنها كانت نحيلة ـ وأنا أحب البدينات ـ وصحيح أنها ترتدى السواد .. لكنها كانت أجمل الجميلات حقًا ..

وجلست جوار النافذة على مقربة منى .. وراحت

تتأمل الشوارع فى شرود .. ثم مدت يدها إلى حقيبتها فأخرجت شطيرة راحت تقضم منها وتواصل النظر من النافذة ..

لم ترفع عينها قط .. ولم تدر بنظرها فى المكان .. (صوت قرقرة) .. صدقنى .. والله على ما أقول شهيد ..

بعد ثلاث محطات صعد هو .....

جدار آدمي يرتدى جلبابًا أزرق .. فى عينيه حول بسيط .. ناولنى ثمن التذكرة ثم مشى بين المقاعد .. توقعت أنه (نطع) وأنه سيجلس جوار الفتاة الوحيدة ليضايقها .. لكنه مشى إلى مقعد خال على بعد صفين منها وجلس .. وراح ينظر خارج النافذة ..

عدت أختلس النظر إلى الفتاة ، فوجدتها قد تغيرت كثيرًا .. لم تعد تنظر خارج النافذة .. بل هى تنظر إلى الرجل فى رعب .. وحياتك لم أر رعبًا كهذا فى حياتى .. لقد كفت عن ازدراد الشطيرة .. ثم كومت ما بقى منها فى ورقة جريدة وأعادتها لحقيبتها ..

كانت خائفة حقًا .. ورحت أسأل نفسى : ترى يا بنت الناس لماذا أنت خائفة هكذا ؟ أتراه لصّ حقائب

يطاردك ؟ أتراه ممن يهاجمون النساء وأنت فارة منه ؟ أتراه زوجًا يحاول استردادك بعد الطلاق أم خطيبًا غيورًا ؟ أم ماذا ؟

ثم قلت لنفسى : لا تتدخل فيما لا يعنيك يا (فؤاد) .. ربما الفتاة لصة يطاردها هذا المخبر .. لم لا ؟ هذا الجسد العملاق لا بد أن يكون لمخبر .. (صوت قرقرة) ..

فى المحطة التالية لم ينزل أحد .. وصعد شاب رقيع مراهق من أولاد هذه الأيام .. وطبعًا لم يجد الوغد مكانًا للجلوس سوى المقعد الشاغر جوار الفتاة ..

وراح يبتسم ويتمحك محاولاً تعرّفها .. بينى وبينك .. أنا لا أطيق المسخرة .. لهذا أمرته فى حزم وعينى تطق شررًا أن يجد لنفسه مقعدًا آخر .. قال لى فى رقاعة إنه قطع تذكرة ومن حقه أن يجلس حيث يشاء .. فأطلقت عليه سيلاً من السباب لن أذكره هنا لأننا على الهواء .. المهم أنه قام ووجهه كالطماطم عاجزًا عن غلق (جاعورتى) التى انفتحت ..

رفعت :

متى ستبدأ القصة يا أخ (فؤاد) ؟

عباس (سيصير اسمه [فؤاد] من الآن) :

ك .. كيف عرفت اسمى ؟

رفعت :

هذه مهنتى .. أن أعرف أشياء تحاول إخفاءها ..
والآن هلاّ بدأت سرد المشكلة ؟

فؤاد :

ليكن .. غريب أن تعرف اسمى وأنا لم أقله .. ما علينا .. أين كنا ؟ آه .. حين زجرت الولد الرقيع الخنفس .. يبدو أن هذا جعل الفتاة تعتقد أننى قادر على حمايتها ..

رأيتها ـ للمرة الأولى ـ تنظر فى اتجاهى ..

ثم نهضت محاولة ألا تفقد توازنها بينما الحافلة تتحرك ، وجلست على المقعد المجاور لى تمامًا .. وقالت كلامًا كثيرًا ..

أعنى أننى لم أفهم حرفًا فى البداية لأن صوتها كان خفيضًا جدًا .. ثم بدأت أفهم أنها تطالبنى بحمايتها من ذى الجلباب الأزرق .. كان ضمن ما قالته هو أنه يريد قتلها .. وأنه يقتفى أثرها عبر شوارع المدينة منذ ثلاث ساعات .. وأنها حاولت الفرار أو أن تفقده عبر المواصلات لكنه كان يجدها دائمًا ..

طبعًا ـ (صوت قرقرة) ـ سألتها عن السبب الذى يجعل ذلك (النطع) يرغب فى قتلها .. لكنها قالت إنها لا تدرى ..

كح كح ! وأنت تعرف بالضبط أن آخر شىء يمكن للرجل أن يرفضه ، هو تقديم العون لفتاة حسناء تستغيث به .. ساعتها يمكنه أن يحرك الجبال أو يشرب النيل كله .. وكان فى مقدورى وقتها أن أمزق هذا الرجل تمزيقًا .. لكن المشكلة هى أنه حتى هذه اللحظة كان جالسًا مهذبًا وفى حاله ، يتسلى بمراقبة الشارع ..

إذن فلأطلب من السائق أن يتجه إلى قسم الشرطة .. لكن الفتاة توسلت إلىّ ألا أفعل ..

إذن ما هو المطلوب منى بالضبط ؟

لا شىء .. كل ما تريده هو أن أظل بجوارها حتى نهاية الخط .. فقد يسبقها الرجل بالنزول أو يشعر بأنها ليست وحيدة ..

ثم خطرت لى فكرة أفضل ..

قلت لها أن تنزل فى المحطة التالية .. وتعود لدارها بالمواصلات ـ عرفت أنها من (السيدة زينب) ـ وأنا سأتأكد من أن الرجل لن يهبط وراءها .. وقلت

لنفسى إنها لو كانت صادقة سيتحرك الرجل مستعدًا للنزول بمجرد أن تصل هى إلى الباب ..

وبعد ثوان توقفت الحافلة فأشرت لها كى تهبط ..

فما إن وصلتْ إلى درجات السلم حتى رأيت الرجل يتأهب للنهوض .. مشيت نحوه .. وصحت فيه :

ـ « أين تذكرتك يا هذا ؟ ألم أطلبها منك ؟ »

وأطلقت صفارتى كى تتحرك الحافلة قبل أن يجد ردًا ..

أرغى الرجل وأزبد وهتف يصيح بالسائق :

ـ « انتظر ! إن هذه محطتى .. » ـ ثم صاح فى وجهى ـ « هل تتعاطى شيئًا ؟ ها هى ذى تذكرتى .. هل أفقأ بها عينيك ؟ »

كانت الحافلة قد تحركت مسافة معقولة مبتعدة عن الفتاة .. لهذا لم أر ما يمنع من ممارسة هوايتى فى الصراخ والجعجعة .. ورحت أهدد الرجل بالويل إن لم يحسّن لهجته معى ..

وراح راكبو الحافلة القلائل الذين لم يروا فيما حدث ما يستحق كل هذا الصراخ ؛ يهدئون النفوس .. كان الرجل قويًا حقًا وشديد المراس .. ولولا حماسى لما جرؤت على التشاجر معه ..

ومرّت محطتان ونحن غارقان فى المجادلة وتبادل الاتهامات .. ثم إنه توقف عن الصراخ وتمنى لنا خراب بيوتنا جميعًا ، وقال إننا جعلناه ينسى أن ينزل فى محطته ..

وعند المحطة التالية نزل وهو ينعتنا بنعوت كريهة ..

وتحركنا مبتعدين لنغيب فى الظلام ......

وكانت هذه هى الليلة الأولى !

شريف :

أولى ؟ إذن هناك ليلة ثانية وثالثة ؟

فؤاد :

وعاشرة إذا أردت .. ففى الليلة الثانية تكررت القصة بحذافيرها .. صعدت الفتاة ولم يبد عليها بتاتًا أنها تعرفنى .. وحينما مدت يدها الخالية من الخواتم لتأخذ تذكرتها ، قلت لها فى فخر :

ـ « صاحبك لم يستطع الخلاص منى البارحة .. »

نظرت إلى فى حيرة غير فاهمة .. وتساءلت :

ـ « أفندم ؟! »

ثم تناولت تذكرتها واتجهت لمقعدها جوار النافذة ، لتخرج الشطيرة من حقيبتها وتبدأ فى تأمل الشارع ..

بعد قليل صعد ذو الجلباب الأزرق .. وجلس جلسته السابقة .. ظننت أنه سيتشاجر ، لكنه تصرف بوقار غريب .. وقدرت أنه ينوى بدء صفحة جديدة معى .. لكنى لم أفهم .. هل هو مستمر فى مطاردة الفتاة ؟ إذن لماذا لم تطلب منى العون ؟

ثم قلت لنفسى : إن النساء جميعًا مخبولات .. كلهن ناقصات عقل ودين .. ولا يمكن فهم ما يفكرن فيه ولا لماذا يفعلن ما يفعلن .. هن أنفسهن لا يعلمن سبب ما يقمن به ..

رفعت :

إن آراءك لن تروق لقيادات الحركة النسائية .. لكنى أرى فيها شيئًا من الصواب .. أكمل قصتك ..

فؤاد :

المهم أن كل شىء تكرر ..

رفعت :

كل شىء ؟

فؤاد :

كل شىء والله على ما أقول شهيد .. صحيح أنها لم تطلب عونى .. لكنها ظلت تنظر إلى الرجل فى

ذعر وكفت عن قضم الشطيرة .. ثم .. حين تحركت الحافلة أو أنذرت بالتحرك فى إحدى المحطات ؛ هرعت هى إلى الباب وصاحت فى السائق : أنا نازلة ! وقبل أن تتوقف الحافلة تمامًا كانت قد هبطت منها وذابت فى الظلام ..

أما الرجل فهرع إلى باب الحافلة الذى كان قد انغلق فعلاً .. وراح يهيب بالسائق أن يفتح الباب .. لكن السائق كان قد ابتعد بما يكفى .. وفى المحطة التالية هبط الرجل وهو يسبنا بنعوت عدة .. هى الشىء الوحيد الذى تغير فى الموقف كله ..

(صوت قرقرة) .. كوح كوح تفو !

رفعت :

طبعًا ظللت تضرب كفًا بكف ..

فؤاد :

قلت لنفسى إن الوغد قد أجاد توقع تحركاتها .. لكنها فرت منه مرة أخرى ..

شريف :

والمرة الثالثة ؟

فؤاد : ـ

تكرّر كل شيء .. وكاد الجنون يصيبنى .. هل هما يتلاعبان بى ؟ هل هما يمثلان دورًا ما فى (السيما) ؟ أنا أعرف هؤلاء الناس ممثلى (السيما) .. إنهم يفعلون أى شيء فى أى مكان ويغضبون إذا ما أبديت دهشتك .. لكنى لم أجد (كمرة) فى الجوار ..

على كل حال لم أستطع أن أفعل أو أقول شيئًا .. فكلاهما لم يقارف خطأ ما .. ما لى أنا وكل هذا ؟

لكن ـ والله على ما أقول شهيد ـ كان الرجل أكثر يقظة .. لقد جلس جوار الباب متحفزًا وعيناه على الفتاة .. وأدركت أنه سيسبقها بسهولة لو أنها قررت الفرار ..

كان الحل بسيطًا .. لهذا صحت ونحن ندنو من المحطة إياها :

ـ « افتح ورا يا (بيومى) ! »

وانفتح الباب الخلفى فأشرت لها كى تهبط منه .. ولم تكذّب خبرًا .. أما هو فلم يتوقع هذه الخيانة .. نهض محاولاً اللحاق بها .. لكن ..

ـ « اقفل ورا يا (بيومى) ! »

وقد كان .. ودخل الرجل فى شجار مرير معى ..

إن الوغد سليط اللسان ويتمتع بقاموس شتائم غير مسبوق ..

كان قد فاض بى .. لهذا أعلنت له أننى أشك فى أنه يتحرش بهذه الأنثى البائسة مهيضة الجناح .. وأننى أعرف أنه يعرف أن هذا المشهد يتكرّر منذ ثلاثة أيام ..

ثم إننى قلت له إننى لن أسمح له بركوب هذه الحافلة ثانية .. فصاح فى غلّ :

ـ « بأى حق ؟ هل أنت مدير الهيئة ؟ وزير المواصلات ؟ »

ـ « لا دخل للحقوق هنا .. أنا أستعمل شريعة الغاب .. »

وهذا هو ما حدث بالضبط .....

فى الليلة التالية صعدت الفتاة كالعادة وراحت تلتهم شطيرتها .. حاولت أن أخبرها بما كان ، لكنها لم تبد على علم بشيء ..

كل ليلة تشعرني بأنني أراها لأول مرة .. وتتصرف بتحفظ كأنني وغد يضايقها أو أتحدث مع الشخص الخطأ ..

ثم دنت المحطة التى ينتظر الرجل فيها .. وكان فى نفس الوضع المألوف لى كل ليلة .. وبينى وبينك قلت لنفسى : لو كان الوغدان يريدان أن أجن فأنا كفيل بإصابة بلد كامل بالجنون ..

ثم صحت فى السائق أن يستمر دون توقف ..

ولمحت الرجل يركض وراء الحافلة محتجًا .. ثم ذاب فى الظلام .. وقلت لنفسى : إن الفتاة لو كانت تعابثنى لبدت عليها الدهشة .. لكنها ظلت حيث هى تنظر خارج النافذة فى شرود .. وتلوك ما بفمها من طعام حتى تستغرق كل لقمة دهورًا .. كأنها .. كح كح !

كح كح ! يا (عبده) ! يا (عبده) !

(صوت غير واضح) ..

هات حجرًا آخر ..

رفعت :

يبدو أننا سنزيد من استهلاكك من (المعسل) هذه الليلة ..

فؤاد :

لا عليك .. إن (عبده) القهوجى يقدم ألعن أنواع الدخان لنا .. يقال إنه يجفف الصراصير ويطحنها

ويقدمها لنا ، لكنى أرى فى هذا مديحًا لا يستحقه ..

أين كنا ؟ آه .. عندما تركت الرجل واقفًا على المحطة ..

جاءت الليلة التالية وتكرر كل شىء ..

لكن الرجل لم يظهر فى محطته ولا أى محطة أخرى ..

وتجاوزنا المحطة المعتادة التى تنزل فيها الفتاة هاربة .. وبعدها بثلاث محطات جاءت محطة مظلمة فى منطقة مقطوعة من الخط .. وهنا رأيتها تتهيأ للنزول ..

ما الذى يدعو فتاة تعيش فى (السيدة زينب) إلى النزول فى هذه المحطة ـ لن أذكر اسمها ـ وحيدة وفى هذا الوقت المتأخر ؟

لا أدرى .. لكنى لم أتساءل كثيرًا .. هى حرة تمامًا فى اختيار محطتها .. لكنى حين نظرت من النافذة رأيت رجلاً عريضًا يرتدى جلبابًا أزرق ويقف فى ثقة بانتظار من ينزل !

هنا صحت فى السائق أن يستمر دون توقف .. وبرغم احتجاجات الركاب القلائل الذين لم يفهموا سرّ تحكمى هذا .. كيف لا أسمح لها بالنزول ولا للرجل بالصعود ؟

لكن الفتاة كانت قد رأت ما رآه .. وعلى وجهها الجميل تلاعبت بسمة خافتة .. بسمة عرفان بالجميل ..

لكنى لم أتوقع أكثر .. غدًا تصعد إلى الحافلة وكأنها لم ترنى قط .. لقد أنقذتها مرارًا ، لكنها فى كل مرة تبدو كأنها نسيت كل شيء ..

رفعت :

وما الذى يدعوها إلى ركوب ذات الحافلة كل ليلة ؟ لماذا لا تطلب من قريب لها أن يحميها ؟

فؤاد :

علمى علمك .. أنا أحكى ما حدث دون نقص ولا زيادة ..

شريف :

والليلة التالية ؟

فؤاد :

لعدة ليال تكرر هذا الموقف بحذافيره .. وتعدل الفتاة عن النزول ويعجز الرجل عن الصعود .. وبعدها ـ عند نهاية الخط ـ تهبط هى بعد أن تقول لى (ميرسى) .. وتغيب فى الظلام ..

ثم إن الرجل قام بخطوة جديدة ..

فى إحدى الليالى لم أجد الرجل على المحطة .. وتهيأت الفتاة للنزول .. وتحركت الحافلة مبتعدة عدة

خطوات بينما أنا أرمق الفتاة من زجاج النافذة الخلفى .. هنا رأيت سيارة أجرة تتوقف ورأيت جلبابًا أزرق ضخمًا يخرج منها لينقد السائق ماله !

لقد لعبها ببراعة ! هذه المرة ركب سيارة أجرة ومشى وراء الحافلة بانتظار هبوط الفتاة .. فما إن هبطت حتى ترجل هو .. وها هو ذا قد صار وحيدًا معها فى هذه المحطة المنعزلة ..

(صوت قرقرة) ..

هنا ـ والله على ما أقول شهيد ـ غلى الدم فى عروقى .. أنا قد تربيت فى الحارة ولا أملك ذرة من التهذيب .. فقط يتظاهر الإنسان بشيء من الخلق كى لا يُطرد من وظيفته .. ولا يعجبنى الحال المائل بحال .. لهذا صحت فى السائق أن يتوقف ..

وجذبت المفتاح الإنجليزى الثقيل الذى نضعه تحت (المانفستو) ووثبت من الحافلة .. وعيناى تتقدان شررًا ..

الليلة سأبيت أنا فى التخشيبة ويبيت الرجل فوق منضدة التشريح ..

لمست قدماى الأرض ـ وسط صيحات الاستفسار من السائق والركاب ـ ورحت أسابق الريح ، راكضًا

إلى حيث كان الرجل يمشى فى همة وراء الفتاة التى لم
تدر بوجوده .. وأنا أتأمل المفتاح الثقيل فى قبضتى ..
نويت أن أفتح رأسه أولاً ، ثم أفهم وجهة نظره ..
وهنا حدث شىء غريب؛ حين رفعت عينى ..

رفعت :

لم تجدهما ..

فؤاد :

كيف عرفت ؟

رفعت :

القصة هكذا دائمًا ..

فؤاد :

هذا هو ما وجدت ـ والله على ما أقول شهيد ـ
حين وصلت لمكانهما .. لا شىء على الإطلاق ..
الشارع المقفر المظلم فى ضوء واهن لعمود نور
واحد نسيت البلدية أن تهشم مصباحه .. لا شىء ..
لا فتاة .. لا رجل .. وكانت هذه هى المرة الأولى
التى لعب فيها الفأر فى عبّى ..

عدت للحافلة وأنا أبسمل وأحوقل .. وصعدت أمام
العيون المرتابة فى حالتى العقلية ..

رحت أردد فى حيرة : ألم تروهما ؟ ألم تروهما ؟

وخلصت بعد قليل إلى أن الجميع رأى الفتاة .. لم
أكن أخرف .. لكن أحدًا لم ير الرجل ربما لأن أحدًا لم
ينظر خارج النوافذ ..

لكنهما تلاشيا .. ذابا ..

وكانت هذه هى نهاية عهدى بالعمل ليلاً ..

لقد توسلت إلى رئيس الحركة والملاحظ كى يتم
نقلى إلى خط آخر .. وفى ضوء النهار .. وكذبت
مئات الأكاذيب لأبرر ..

أنت تفهمنى يا د. (رفعت) .. أنا لا أهاب أى
شىء له لحم ودم وقلب ينبض .. لكنى أموت فى
جلدى من كل ما لا أفهمه ..

ومضت الحياة على نحو هادئ (صوت قرقرة) ..
فيما عدا المتاعب التقليدية لدى كل محصل يعمل فى
فترات الذروة .. وعلى خط كثيف أصلاً ملىء
بالمتشاجرين والمتزاحمين والهاربين من دفع ثمن
التذكرة والمدعين .. لكن هذا هو عملى .. وذلك
رزقى .. المهم أننى أفهم ما يدور حولى ..

ولكنى سمعت فى مكتب المفتش ما أدار رأسى .. فزميلى
هو الآخر يشكو من أشياء مريبة تحدث فى أثناء عمله ليلاً .
أشياء تتعلق برجل ذى جلباب أزرق وفتاة شابة

ترتدى السواد .. وهنا تدخل السائق العجوز عمّ (سعد) ، وهو بالنسبة للهيئة كتمثال (رمسيس الثانى) لميدان المحطة .. أقدم شىء وعلامة مميزة لا يمكن تصور الهيئة بدونها ..

إن عمّ (سعد) على المعاش لكنه يعمل فى شىء ما لا أدرى ما هو .. دائمًا هو هناك منهمك فى كتابة أوراق أو التدخين أو .. هو أول من يحضر صباحًا وآخر من ينصرف .. يبدو أنه لا يتقبل حقيقة أنه صار بلا عمل .. والكل يتقبل وجوده على كل حال .. فلا أحد يجرؤ على طرده أو سؤاله عن سبب وجوده معنا ..

قال لنا عم (سعد) وهو يبصق ـ ومعنى هذا أن كلامه مهم ـ إن كثيرين ممن عملوا على هذا الخط ليلا طيلة السنوات العشر الماضية ، صادفوا ذات الموقف ..

قال لنا إن هناك فتاة قتلت فى إحدى المحطات منذ أعوام .. يبدو أن زوجها أرسل من يقتلها لسبب لا أدريه .. منذ متى كف الأزواج عن قتل زوجاتهم ؟ إنهم يفعلون هذا طيلة الوقت .. المهم أن القاتل جرّها وراء جدار وخنقها بحبل ليفى ، وسمع الضجة أحد الحراس الليليين فهرع ليرى ، رأى المنظر ورأى



القاتل ذا الجلباب الأزرق يحاول الفرار .. كان ردّ فعله سريعًا وأطلق رصاصة من مسدسه الحكومى .. وسرعان ما تكوّم القاتل على بعد أمتار من ضحيته ..

فيما بعد انهار الزوج واعترف بأنه استأجر الرجل ليفعلها ..

(صوت قرقرة) ..

رفعت :

ومن يومها ومشهد المطاردة يتكرّر فى حافلات الهيئة .. كل ليلة فى ذات الوقت تقريبًا ..

فؤاد :

عليك نور .. واضح أن هذا هو ما حدث بالضبط يومها .. يقولون إن روح القتيل والقاتل لا تهمدان أبدًا .. أعوذ بالله .. لقد اقشعرّ جلدى ..

رفعت :

بعض الأشباح تمارس ألعابًا من هذا النوع .. يسمونها (البولترجايشت) Poltergeist .. وهو لفظ ألمانى معناه الحرفى (الأشباح التى تدقّ) .. ويبدو أن هذين الاثنين يتسليان بتكرار ما حدث يومها ..

فؤاد :

لا أفهم ما ترطن به .. أنا أمقت أسلوب الأفندية هذا حين يسمون كل شىء واضح باسم يستحيل فهمه ..

رفعت :

لا عليك .. أنت محق .. فالرطانة هى داء المثقفين .. يسمون حلاوة اللسان (ديماجوجية) والفقراء

(بروليتاريا) ، ويسمون النفعى (براجماتى) .. دعنا من الرطانة وقل لى ما استنتجته ..

فؤاد :

لم أستنتج شيئًا .. فقط قررت أنا واثنان من رفاقى ـ عيال جدعان حقًا ـ أن نركب الحافلة معًا هذه الليلة لنرى ما يحدث بالضبط .. وقد كان ..

جلسنا مع المحصل ـ وهو ولد من (العتبة) له قلب أسد ـ ورحنا نثرثر ونتكلم .. وهنا دنت المحطة إياها ..

وفى صمت رأينا الفتاة تصعد إلى الحافلة وتدفع ثمن تذكرتها ، ثم تجلس فى مقعدها المختار جوار النافذة .. وتخرج شطيرتها إياها ..

بعد دقائق صعد الجدار ذو الجلباب الأزرق وجلس على مقربة منا .. وكالعادة لم يبد عليه أنه لاحظ وجود الفتاة ..

وهنا هزّ المحصل يدى .. كان يشير إلى جيب جلباب الرجل حيث جلس .. لماذا يحمل الإنسان حبلًا غليظًا من الليف فى جيبه هو من الضخامة بحيث يتدلى طرفه خارج الجيب ؟

شريف :

هل شعرتم بخوف ؟

فؤاد :

بالعكس .. لا شيء على الإطلاق يثير الخوف فى مظهرهما .. مجرد شخصين عاديين تمامًا .. حتى إننى شككت فى الموضوع كله ..

إن هى إلا دقائق حتى توقفنا أمام المحطة التى اعتادت الفتاة النزول فيها .. فما إن نزلت حتى تبعها الرجل .. بالطبع لم يتدخل أحدنا هذه المرة حتى نرى ما سيحدث ..

وعلى الفور انسللنا ـ نحن الثلاثة ـ وراء الرجل والفتاة ، ورحنا نقفو أثرهما على مسافة معقولة ..

تواريا وراء جدار عند نهاية الممشى (صوت قرقرة) فأسرعنا نهرول لنرى ما يحدث فلا يفوتنا شيء ..

وأمام عيوننا المذعورة رأينا الرجل يحيط عنقها بالحبل ، ولمحناها تحاول المقاومة .. عندها نسينا من نواجه بالضبط واندفعنا صارخين محاولين منعه ..

وهنا وجدنا الشيء ذاته ..

لا شيء سوى شارع خاو يتألق بصعوبة تحت انعكاس مصابيح واهنة لا جدوى منها ..

لقد تلاشت الرؤيا .. ذابت كأن لم تكن ..

وعندها ـ فقط ـ تملكنا الذعر .. وعدنا نتخبط إلى بيوتنا ..

رفعت :

حسن .. تلك هى الحقيقة إذن .. وهل من جديد فى القصة ؟

فؤاد :

لا شيء .. كنت أريد رأيك ..

رفعت :

هل تتكرر هذه القصة حتى اليوم ؟

فؤاد :

ليس دائمًا .. وعلى كل حال لقد تعلم راكبو وسائقو هذا الخط أن يتجاهلوا أى فتاة ترتدى السواء يطاردها رجل ذو جلباب أزرق .. فمن الواضح أنهم لا يؤذون أحدًا .. تلك (الأشباح التى تدق) على حد كلامك .. كح كح !

شريف :

لكنهم يثيرون الرعب .. وهذا كافٍ جدًا لجعلهم مؤذين .. إنهم يخالفون نواميس الحياة التى نعرفها .. وهذا يكفى لجعلى أقشعر ..

فؤاد :

ما يثير الغيظ هو أن أحدًا لا يصدقك .. كلما حكيت القصة لواحد راح ينظر لك كأنك أبله ..

رفعت :

ليس من رأى كمن سمع .. وأنا نفسى لن أصدق ما تقول حتى أراه ..

فؤاد :

والآن إلى اللقاء .. لقد صدعت رأسك بقصتى هذه ..

(يضع السماعة) ..

رفعت :

لا عليك .. يبدو أنها نهاية الحلقة يا (شريف) ..

(رنين الهاتف) ..

شريف :

لحظة ! آلو ! برنامج (بعد منتصف الليل) ..

صوت امرأة :

أنا (فاتن) .. ربة بيت .. أعود بالحافلة إلى دارى مساءً بعد زيارة أمى .. هناك فتاة تركب معى يريبنى أمرها .. فتاة ترتدى السواد وتلتهم الشطائر .. ثم يصعد إلى الحافلة رجل يرتدى جلبابًا أزرق .. و ....

* * *



الحلقة السابعة

بس بس .. ناو .. !

تحكيها : مها شوقى

الحلقة السابعة

بس بس .. ناو .. !

تحكيها : مها شوقى

« أى ذعر شعر به اللص البائس وهو يرى قطة آدمية .. تنقض عليه من بين أشجار الحديقة لتمزقه .. وتجرّه نحو البوابة وهى تروم وتزمجر ؟ »

المقدمة

شريف :

صباح الخير .. ها هو ذا برنامجكم الممتع (بعد منتصف الليل) .. هل أنتم جالسون جوار أجهزة الهاتف ؟ حسن .. أديروا القرص .. واطلبوا رقمنا .. إن صاحب الحظ السعيد الذى سيسبق الآخرين هو وقود آلة الرعب لهذه الليلة ..

رفعت :

صاحب الحظ السعيد الذى سيجد حرارة فى جهاز الهاتف ..

شريف :

ترى عم سيحدثنا ؟ عن جنّى يتربص به ؟ عن قبر مفتوح ؟ عن شبح يجوّل فى منزله ؟

رفعت :

عن امتحانات الثانوية العامة التى صارت على الأبواب ؟

شريف :

كلها أشياء مخيفة .. لهذا هى جذابة شائقة ..

(رنين الهاتف) ..

آلو ؟ من يتحدث ؟

صوت فتاة رقيق :

أنا (مها شوقى) .. أظن أن هذا برنامج (بعد منتصف الليل) ..

شريف :

لو كان جهاز المذياع مفتوحًا يا (مها) فأنت تسمعين صوتك خارجًا منه .. وإنها لتجربة غريبة حقًا .. تتحدثين فى الهاتف فينبعث صوتك من المذياع !

مهـا :

أنا أحب برنامجكم وأحب (رفعت إسماعيل) غريب الأطوار الملول الساخر من كل شىء .. إنه يذكرنى بالشاعر (ابن لنكك) الذى سخر من كل شىء حتى نفسه .. وبرغم كل شىء أراه جميلاً ..

رفعت :

هذا يسرنى يا.. آنسة ؟

مهـا :

نعم ..

رفعت :

هذا يسرنى يا آنسة (مها) .. إنك تقولين ذات الأشياء التى أقولها عن نفسى ، والتى لا يراها أحد فى شخصى .. أتعشم أن يكون وجهك فى جمال بيانك .. إن المرأة الوحيدة التى أبدت إعجابها بى كانت المرحومة أمى .. وكانت تعانى ضمورًا فى شبكية العين ..

مهـا :

إن موضوع الجمال هو سبب كل ما حدث ..

دعنى أقدم نفسى أولاً .. أنا (مها شوقى) .. طالبة فى كلية الآداب .. لست من النوع الذى يمكنك وصفه بالقبح مهما تجنيت .. لكنى ـ كذلك ـ لست (صوفيا لورين) .. أحيانًا أكون عملية إيجابية جدًا .. وأحيانًا أشعر بأننى هشة تعسة وأننى J'ai Bessoin de Tenderess ..

رفعت :

ـ .. ماذا قلت ؟ إن لغتى الفرنسية .....

شريف :

تقول إنها بحاجة إلى الحنان .. أرجوك استخدام العربية يا مها ..

مهـا :

ليكن .. باردون .. إن حالتى المالية لا بأس بها .. فعندى سيارة خاصة بى .. ولدىّ أثواب بعدد أيام السنة .. وأبى يملك كل شىء ويعرف كيف يحقق الأشياء الباقية .. لكنى تعسة يا د. (رفعت) .. تعسة ..

كنت أشعر بالفراغ .. ولم يعد النادى قادرًا على إسعادى .. قرأت كثيرًا جدًا بالعربية والفرنسية ، لكنى فقدت القدرة على الاستمتاع .. فهى مجرّد كلمات يخدعوننا بها متظاهرين بأنهم يفهمون الحياة ..

إنها المرارة .. إنه الألم .. إنه القنوط ..

رفعت :

أفهم ما تقولين .. أحيانًا يخيل إلىّ أن الاستمتاع بالحياة يعتمد على غدّة معينة فى جسدنا .. فلو انتزعت أو فشلت لما صار شىء قادرًا على إسعادنا .. لا بد أن (هيمنجواى) أديب أمريكا العظيم شعر بشىء كهذا وهو يضع ماسورة البندقية بين شفتيه ، ويضغط الزناد بإصبع قدمه .. لقد فعلها فى ذروة مجده وانتصاره ..

مهـا :

هناك من يسميه الفراغ .. ربما .. لكنى لن أتردّى إلى هاوية الابتذال لأقول لك : (المال لا يجلب السعادة) .. كلا .. هو يجلبها ولكن لنفوس مستعدة لأن ترضى به ..

شريف :

هلا تحدثنا عن قصتك غير العادية ونسينا هذه الدهاليز النفسية ؟

مهـا :

نعم .. نعم .. كنت أحاول أن أوضح أن من يمر بحالى يكون على استعداد كى يخوض أغرب التجارب .. لمجرد التجديد ..

بدأ الأمر حين حدّثتنى صديقاتى عن مدام (ليليان) .. بعضهنّ قلن للأخريات ، وبدأ عدد من يعرفن الأمر يتزايد .. ثم دعتنى إحداهنّ لزيارتها ..

إن مدام (ليليان) تسكن فى فيلا من طابق واحد فى أحد الأحياء الراقية بالقاهرة .. ليكن (الزمالك) أو (المعادى) أو (جاردن سيتى) .. لا يهم .. امرأة من أصل أرمنى هى تعيش وحدها بعد وفاة زوجها ..

كنا هناك فى الثامنة مساءً .. وكان هناك كلبان شرسان مربوطان بالسلاسل ، وخادم نوبى عجوز .. قادنا إلى الباب ..

وفى داخل الفيللا كانت هناك قاعة فسيحة ملأى بالطنافس المبعثرة على الأرض .. ورائحة بخور تعبق الجو .. مع إضاءة حمراء كتلك التى لا نتخيل مساكن الجن إلا بها ..

أما الغريب فى الموضوع فهو عشرات ـ هل أقول مئات ؟ القطط تلهو أو تغفو هنا وهناك .. كل قطة تتصوّر شكلها أو رأيتها فى دائرة معارف يمكن أن تراها هناك .. وكلها مكتنزة تشى بالصحة وحسن التغذية ..

أما مدام (ليليان) نفسها فامرأة فاتنة .. صحيح أنها فى الأربعين من عمرها لكنها فى أفضل حالاتها ، كتفاحة فى ذروة النضج قبل أن تذبل وتتجعد ، كانت فارعة القامة ذات عينين زرقاوين شديدتى الجمال ، وثمة خصلة من الشعر الأبيض فى مقدمة رأسها وسط الخصلات السوداء ، لا أدرى هل هى صناعية أم لا ..

وكانت ترتدى روبًا أحمر أنيقًا ..

وعلى كتفها الأيمن كانت تنعس هرة إيرانية (ملظلظة) بشدة .. كتلة من الدهن المغطى بفراء أبيض نظيف ..

كانت هناك أشياء غريبة كثيرة خطفت بصرى ..

صور عملاقة للقطط على الجدران .. قطط محنطة وقفت متخذة أوضاع القنص .. تماثيل فرعونية للربتين (سخمت) و (باستت) بما فى منظرهما من صلة بالقطط ..

صديقاتى حدثننى عن هذا كله لكنى لم أتصوره قط ..

كانت هناك ستّ فتيات يعرفن المكان جيدًا ، وقد اتخذت كل منهنّ مجلسها على إحدى الطنافس ، وأمسكت هرة غافية تداعب فراءها فى حنان ..

أما مدام (ليليان) فقد قالت لى فى لطف :

ـ « أوه .. آنشانتيه .. هل أنت (مها) ؟ »

كان فى لكنتها طابع أجنبى محبب للنفس ..

ـ « نعم هى .. »

قالت وهى تقودنى إلى إحدى الطنافس :

ـ « قطة جميلة هى أنت يا (مها) .. تعالى لتجلسى مع أخواتك الهرر .. »

مجاملة رقيقة .. وخطر لى هنا أن المرأة ـ هى نفسها ـ أقرب إلى قطة آدمية .. كل شيء فيها (قططى) بشكل أو بآخر ..

رفعت :

إن التشابه بين المرأة والقطة قديم حقًا .. وهناك من أضاف إلى هذا فوجد تشابهًا كبيرًا بين الرجل والكلب !

شريف :

هذا يضايقك حتمًا .. فأنت رجل لا كلب ..

رفعت :

بالعكس .. كانوا يتحدثون عن إخلاص الرجل وثباته وشجاعته وصبره .. أما المرأة فيتحدثون عن نعومتها وتقلبها وشراستها أحيانًا .. وميلها للكسل .. وحرصها على مظهرها ..

مها :

يصعب علىّ دومًا أن أتخيل وجود قط ذكر أو كلبة أنثى .. ما علينا .. المهم أن مدام (ليليان) جعلتنى

أجلس .. ثم دارت أمامنا وجلست .. وراحت تقول وهى تداعب قطتها :

ـ « إن كل فتاة هى قطة فى أعماقها .. وما نحن بصدده وما نقوم به يتركز في أن نشعر بـ(قططيتنا) .. إن القط هو أسعد كائنات الله .. فهو جميل مستقل بشخصيته .. يعرف كيف يستمتع بالحياة .. إنه ليس مهددًا بالذبح كالأرنب ولا مكلفًا بالسهر فى الشارع البارد يعوى كالكلب .. ولا هو كريه وحيد كالأفعى .. ولا هو مهدد بطلقة تنهى حياته كالعصفور ..

إن القط كائن رائع .. قوامه الاسترخاء وعماده الثقة بالنفس .. ودعمه الوحيد فى الحياة هو حبنا له ..

تقول الأغنية الفرنسية : أحبوا الحياة كما يحبها القط الصغير ..

ويقول (شكسبير) فى (كما تحبها) : أنظر إلى الهريرة وقد أفعمها المرح .. إذ تتريض فى الشمس المتألقة ..

(بالطبع قالت هذه الاقتباسات بأصولها الإنجليزية والفرنسية) ..

رفعت :

هل أنت واثقة أن هذه المرأة ما كانت تبشّر بنوع من عبادة القطط ؟

مهـا :

شككت فى هذا .. قلت لنفسى : هى ذى يا (مها) جمعية سرية أخرى تمارس عقيدة حمقاء .. ولن يمر شهر حتى يحتل خبر القبض على أفرادها ـ بوساطة أمن الدولة ـ مكانًا بارزًا فى صفحة الحوادث ..

لكن كلام المرأة راق لى ..

كانت تدعونا إلى أن نقلد القط ولا تدعونا لعبادته والعياذ بالله ..

بل إنها قالت صراحة إن الفراعنة فى بحثهم المتخبط عن سرّ الخلق ، عبدوا القط فى صورة الربة (باستت) التى ما زال معبدها فى الزقازيق الحالية .. لكن هذا هراء ..

ثم سألتنا : لماذا يقول الناس إن القط له سبعة أرواح ؟ لماذا يقرّ القط حين ينام ؟ لماذا يتشاءم الناس من القط الأسود ؟ لماذا تتبدل عين القط كدورة القمر ؟

كلها أسئلة بلا جواب ..

كلها تقول إن القط كائن غير عادى .. والناس يحبونه بقدر ما يخشونه .. فهو يجمع شراسة النمر ووداعة اليمامة ورشاقة الغزال ..

ثم بدأ الحفل .. ويا له من حفل ! حفل جدير بالقط (توم) حقًا ..

كانت هناك أطباق اللحم .. كثير من اللحم ..

رفعت :

هذا غريب ! كل هؤلاء المتأملين نباتيون فى العادة .. وهل أنت واثقة من أنه لم يكن لحم فئران ؟!

مهـا (متقززة) :

يع ع ع ع ! لا تمزح فى هذا يا د. (رفعت) ! كان لحمًا بقريًا .. ومعه كثير من السمك .. ودارت كئوس اللبن البارد .. أنا لا أحب اللبن ، لكن هذه المرأة استطاعت أن تجعلنى أحبه ..

كانت تقول طيلة الوقت :

ـ « هيا يا بنات .. إن القط يعتمد على هذه المواد ليغدو ذلك الكائن الرائع .. لم لا نحاول أن نستخلص منها أروع ما فيها ؟ لم لا نمنح أنفسنا الفرصة ؟ »

تقول هذا وتصدر صوتًا ناعمًا هادئًا من حلقها .. ثم تتكور حول نفسها على الأرض .. ولا أبالغ إذا قلت إنها تموء فى رضا ..

الأخريات أيضًا لم يكنّ على ما يرام .. كنّ بدورهنّ يصدرن أصواتًا غير طبيعية ، ويتكورن حول أنفسهن ..

وبعد قليل وجدت أننى أحذو حذوهن ..

رفعت :

لا يبدو جوًا صحيًا مريحًا للنفس ..

مها :

بتاتًا .. لكنى اندمجت فيه .. مثلما نندمج فى حفلات الزار ونجدها فرصة طيبة لإخراج النزعات الدفينة ..

نفس الشيء حدث يومها .. وبعضنا غرق فى بكاء هستيرى .. وبعضنا راح يرتجف كالورقة .. هل تعرف مكانًا آخر فى العالم يمكنك فيه أن تصرخ وتضرب الأرض بقدميك .. أو تنفجر ضحكًا ؟

رفعت :

لا أعرف سوى المصحة النفسية .. الحق أن هذه المرأة القط قد كانت طبيبًا نفسيًا بارعًا ..

مها :

كل شيء كان غريبًا جميلاً جديدًا .. وحين افترقنا – فى نهاية الأمسية – عرفت أننى سأعود ..

قالت لى على الباب وهى تلثم خدى :

– « أوصيك بنظافة الجسد .. فهكذا تفعل الهرة الطيبة ، أوصيك باستعمال هذا الدهان ليجعل لك عبق الهرة ، أوصيك بشرب الحليب ثلاث مرات يوميًا ، يمكنك إحضار من تشائين من صديقاتك لكن لا رجال .. »

وتركتها وعقلى يدور .. هى ذى تجربة مثيرة حقًا يمكن أن تعزينى عن كل هذا الفراغ الذى أعيش فيه ..

وفى اليوم التالى ابتعت قطة بارعة الجمال من أحد محال الحيوانات الأليفة فى (الزمالك) .. لقد آليت أن أمنح وقتًا أكثر لمعرفة هذا الكائن الساحر ..

سألت أترابى عن هذه المرأة وماذا تريد ..

قلن لى إن هذه المرأة – بعد موت زوجها – عاشت مع قططها ، لا تحلم بشيء سوى أن يتحدث العالم ويفكر ويحلم بالقطط ..

ربما هى مخبولة .. هذا واضح تمامًا .. لكن المخابيل قد يتمتعون بقوة نفسية غير معقولة تؤثر فيمن حولهم .. وتريحهم ..

شريف :

وهل استعملت الدهان إياه ؟

مهـا :

طبعًا .. بحذر شديد فى البداية .. ثم وجدت أنه يجعل بشرتى أنعم .. مع مسحة من صفاء نفسى عطر .. واعتدت استعماله ..

وحين ذهبت هناك للمرة التالية ؛ طلبت منا فى أدب أن ندفع مبلغًا رمزيًا تحتاج إليه لإطعام قططها ..

شريف :

آها ! إذن عملية النصب تتضح ..

مهـا :

لا أظن .. إن عشرة جنيهات تدفعها فتاة ثرية مثلى أربع مرات شهريًا ليست بالأمر المؤذى .. ثم إنها لم ترغمنا على شىء ..

كانت تضع صندوقًا أمامنا وتتركنا وشأننا .. فمن شاءت الدفع فيها وإلا فلا لوم عليها ..

رفعت :

وهل كان برنامجكن ثابتًا فى كل مرة ؟

مهـا :

لا .. أحيانًا كنا نرى أفلامًا ملونة تعرضها بجهاز عرض صغير .. نرى فيها قططًا تتوالد وتلهو وتصطاد الفئران .. أحيانًا كنا نتأمل صورًا للقطط .. وأحيانًا كانت تدعونا للتأمل ككل مدربى (اليوجا) المحترفين .. ولقد تزايدت مشاعرى الإيجابية وازددت ثقة بنفسى .. وازدادت حواسى رهافة ..

رفعت :

ومتى شعرت أن الأمور ليست على ما يرام ؟

مهـا :

ومن قال إننى شعرت بشىء كهذا ؟

رفعت :

لابد أن هناك سببًا لاتصالك عدا شعورك بالهناء الروحى ..

مهـا :

لا أدرى متى بدأ هذا .. ربما بعد شهرين أو أكثر من تعرفى مدام (ليليان) .. المهم أننى لاحظت رهافة غير عادية فى حواسى .. صرت أسمع صوت خطوة النملة كما يقولون .. أسمع همسات الناس وضوضاءهم وصوت أنفاسهم الثقيلة ..

لكم ضايقنى هذا ! صرت أصحو من نومى بسهولة غير عادية فأتمطع وأنهض .. لمجرّد أن ورقة شجر قد سقطت من فوق غصنها فى الحديقة .. قلت لنفسى إننى متوترة لا أكثر ..

بعد هذا مررت بتجربة أثارت قلقى ..

فى تلك الليلة نهضت من نومى قلقة .. وأردت أن أرتب الأشياء التى علىّ أن أقوم بها فى الكلية غدًا ..

أمسكت بالورقة والقلم وكتبت ما ينبغى أن أقوم به .. ثم عدت إلى الفراش ونمت ..

فى الصباح أيقظتنى أمى من النوم وقالت إننى أصدر صوتًا غريبًا بحنجرتى وأنا نائمة .

على مائدة الإفطار رحت أعبّ الحليب .. وألتهم الجبن والبيض بنهم لا أدرى لماذا صرت أمقت الحلوى الطحينية والفول ؟!

سألنى أبى وهو يطالع الجريدة :

ـ « ماذا فعلت عندما انقطع التيار الكهربى أمس ؟ »

ـ « هـ .. هل انقطع التيار ؟ »

ـ « بالطبع يا (مها) .. من العاشرة مساءً حتى الفجر .. ألم تشعرى بهذا ؟ »

ـ « يـ .. يبدو أننى نمت مبكرًا فعلاً .. »

كنت حقًا قد دخلت فراشى فى تمام التاسعة .. لكن .. كيف لم ألحظ ؟ كيف نهضت فى الظلام الدامس وكتبت ما كتبت ؟!

هناك تفسير واحد .. هو أننى صرت أرى ليلاً !

رفعت :

وهل سرّك هذا ؟

مها :

حتمًا لا .. إن قدرات الإنسان المحدودة هى التى تجعله إنسانًا .. ولو تبدّل شىء منها فهذا مخيف أكثر منه سارًا .. تصوّر أنك جرحت إصبعك فلم ينزف دم .. هل يسرك هذا ؟

رفعت :

هذا حق .. حتى الألم هو تعبير عن إنسانيتنا وصحتنا .. لو أنك لامست النار ولم تصرخ ولم تحس بألم ، لكان هذا دليلاً على إصابتك بالجذام أو زهرى الجهاز العصبى ..

مها :

لقد أصابنى الهلع .. وهرعت إلى مدام (ليليان) أسألها ..

بدا السرور على وجهها وقالت :

ـ « هذا هو الطريق السديد يا ملاكى .. إنك تتعلمين من القطط بسرعة كبيرة .. لقد صرت مرهفة الحس خارقة القدرات .. لقد كان كل هذا موجودًا من البداية لكنك غطيته بغبار إنسانيتك .. اليوم زال الغبار .. وعاد كل شىء براقًا جميلاً كما خلقه الله .. أنت جديرة بأن تحسدى .. »

رفعت :

طبعًا لا أظنك من السذاجة بحيث تجهلين أن الدهان يحوى شيئًا ..

مهـا :

للأسف لم يخطر هذا ببالى قط .. إن الأمر كله يبدو سخيفًا غير قابل للتصديق ..

ولقد سألت صديقاتى عن أعراض مماثلة لكنهنّ سخرن منى جميعًا .. لكنى لا أكتمك يا د. (رفعت) أننى لاحظت لديهنّ رهافة حواس غير عادية .. ذات مرة صرخت إحداهن فى المحاضرة ، إنها تشم رائحة حريق .. وحدث هرج ومرج .. وغادر البعض المدرج ..

فيما بعد عرفنا أن أحدهم أحرق ورقة فى الفناء .. أى على بعد مائة متر من مكاننا تقريبًا ..

وكان بوسع واحدة منا أن تعرف نوع الطعام الذى

يعده مطعم المدينة الجامعية ، وهى على بعد نصف كيلومتر منه ..

فى هذه المرة اتجهت إلى فيللا مدام (ليليان) فى حزم .. كنت أريد أن أعرف تفسيرها ..

كانت متحفظة باردة وهى تداعب قطتها المفضلة .. ثم قالت فى كياسة إنها قدمت لنا هدية ثمينة يعجز عقلنا القاصر عن فهمها ..

ـ « لماذا تظنين بشرتى لم تشخ ولم تتجعد ؟ لماذا أنا مرحة أعرف كيف أستمتع بحياتى ؟ لأننى عرفت كيف أحيا كقطة .. أفكر كقطة وأنام كقطة وآكل كقطة .. »

ودون اكتراث قالت لى إنها تنتمى إلى جيل عريق من كاهنات (باستت) قطة الفراعنة المقدسة .. لقد توارثت أسرتها هذا الفن جيلاً بعد جيل حتى بعد رحيل بعض الأجداد إلى (أرمينيا) .. ومفتاح هذا الفن يكمن فى الدهان المقدس الذى ينقل صفات القطط إلى الإنسان ..

كاهنات (باستت) عرفن كيف يصنعنه .. ولم يدوّنّ السرّ على ورق قط بل تناقلنه لفظًا ..

ثم قالت لى بذات المرح إن الدهان سيظل يعمل علىّ .. سواء أردت أم لم أرد .. توقفت عن استعماله أم واظبت ..

صحت فيها إننى سأبلغ الشرطة ..

ضحكت وقالت :

ـ « هذا شأنك يا قطتى .. ماذا سيجد البوليس عندى ؟ وما هى فرصتك فى أن يصدقوك ؟ دعك من عدم وجود شهود .. يجب أن تمنحى ذاتك لـ(باستت) .. هذا هو الخلاص الوحيد .. »

تركتها حائرة لا أدرى ما أصنع ولا ما أقول ..

شريف :

لم تبلغى أهلك بما حدث ؟

مهـا :

أبلغهم بماذا ؟ بأن هناك امرأة تهوى القطط ؟ وهى كاهنة من كهنـة (بوباسطى) ؟ ظننتك أكثر واقعية يا أستاذ (شريف) ..

على كل حال لم يكن الأمر بهذا السوء ..

لقد تمكنت من سماع لصين ينويان اختطاف حقيبتى فى أثناء خروجى من الكلية .. كانا يتهامسان على بعد خمسين مترًا ، لكنى سمعت كل شىء .. ووضعتها تحت إبطى فى الوقت المناسب ورجعت أدراجى ..

تمكنت من إيقاف أكثر من حريق قبل أن يتفاقم ..

لكن الأمر صار لا يطاق مع موضوع الفئران !

رفعت :

فئران ؟ هل تعنين ؟

مهـا :

نعم .. ذيول فئران فى درج مكتبى .. لا أدرى كيف ولا متى .. مستحيل أن أرى فأرًا فى يقظتى دون أن يغشى علىّ .. لكنى لا أدرى ما حدث وأنا نائمة ! د.(رفعت) .. أعتقد أننى أصطاد الفئران فى الحديقة ليلا بينما أهلى نيام !!

رفعت :

يا للهول ! أنت لا تمزحين يا (مها) ..

مهـا :

حتمًا لا .. إننى أفعل فى غفلتى أشياء غير مفهومة .. ذات مرة شرد ذهنى وأنا أمشى فى الحديقة وحين أفقت وجدت أننى قد اصطدت ثلاث فراشات ويعسوبًا .. بضربة واحدة .. وبانعكاس حركى لا يصدر إلا عن قطة ..

(تتنهد) .. بعد هذا جاء موضوع اللص ..

لا بد أنه تسلل إلى حديقتنا ليلا .. لا بد أنه أحمق .. لا بد أنه أحدث جلبة ما .. لا أدرى كيف مات .. لقد وجده رجال الشرطة ميتًا على بعد خطوات من بوابة

الدار .. كان ممزقًا بفظاعة .. آثار أظفار وأنياب ..
وجهه يكتسى بقناع الرعب .. وقال الطب الشرعى
إنه لم يمت بجراحه بل مات بالصدمة العصبية .. لقد
رأى ما يخيف ..

لقد بحثوا كثيرًا عن كلب مسعور أو ذئب يجول فى
المنطقة دون جدوى .. أبى يقول إنها العناية الإلهية ..
لا جدال فى ذلك .. لكن هناك عنصرًا آخر لا يفهمه أحد ..

نسيت أن أقول لك إن كلبنا لم يفعل ذلك .. لقد مات
كلبنا المسكين (ركس) مسمومًا بيد أثيمة قبل
الحادث بشهرين ..

إن كراهيتى للكلاب تتزايد يومًا بعد يوم .. لكنى
لا أصدق أن أفعلها ..

د. (رفعت) .. هل حقًا تظن أننى (مقطوطة) ؟!

رفعت :

(مقطوطة) ! على وزن (مذءوبة) .. تعبير جيد
يا (مها) .. لو كانت قصتك صادقة فالأمور لا تأخذ
منحى آخر ..

أى ذعر شعر به اللص البائس وهو يرى قطة
آدمية تنقض عليه من بين أشجار الحديقة لتمزقه ..
وتجرّه نحو البوابة وهى تزوم وتزمجر ؟!

بالمناسبة يا (مها) .. أظن أن اسمك ليس (مها)
كما هى العادة فى هذا البرنامج .. إن هذا يجلب
متاعب هائلة لك ..

مها :

بالطبع .. لكن اسمى قريب جدًا من هذا ..

رفعت :

ليكن يا (مهيتاب) .. ماذا حدث بعدها ؟

مها :

لا تتذاكَ علىّ .. ودعنى أكمل قصتى ..

كنت أقول إن حالة التحول القططى هذه تحدث دون
أن أشعر بها حين يجنّ الليل .. وأخشى ما أخشاه أن
أوذى أحدًا دون أن أدرى .. هل تنصحنى بعلاج نفسى ؟

رفعت :

أقترح أن ألقاك أولاً يا من ليست (مها)
ولا (مهيتاب) ..

شريف :

لا أظن أنها فعلت ما فعلته .. كيف لم تلوث الدماء
ثيابها ؟

رفعت :

هكذا القطط .. تلعق فراءها ومخالبها بعد الافتراس

لتعود أنظف مما كانت .. بالمناسبة .. أرى أنك لم تتحولى بعد برغم أنها الثانية صباحًا ..

مهـا :

لا أدرى .. عسى هذا لا يحدث أبدًا .. د.(رفعت) .. إننى مذعورة .. مذعورة حقًا وأريد أن تساعدنى Je Suis un autre يا د.(رفعت)(*) !

رفعت :

الله يعلم كيف .. لكنى سأحاول .. ألقاك فى مكتبى بالكلية غدًا إن شاء الله .. هل تريدين شيئًا آخر ؟

مهـا :

لحظة .. (صوت قرعات على الباب) .. إن هذا .....

صوت امرأة :

(مُهرة) .. هل تسمعين المذياع الآن ؟ ثمة فتاة صوتها كصوتك تحكى مشكلة مضحكة .. (مُهرة) .. ما كل هذا الظلام ؟ ولكن الهاتف معك .. من تحدثين ؟ ياللهول ! ماذا دها عينيك ؟ إنهما تتوهجان .. (مُهرة) ! إذن فأنت التى نسمعها الآن فى المذياع !!

(مُهرة) ! لاااااااه !

* * *

(*) أنا أخرى .. وهو مقطع شهير للشاعر الفرنسى (رانبو) ..



الحلقة الثامنة

من أنا ؟

يحكيها : رفعت إسماعيل

الحلقة الثامنة

من أنا ؟

يحكيها : رفعت إسماعيل

« ما هو الدليل على كينونتى ؟ ما الذى يجعلنى أنا ؟ »

المقدمة

شريف :

حلقة جديدة من برنامجكم (بعد منتصف الليل) .. (شريف السعدنى) معكم وضيفكم الدائم د. (رفعت إسماعيل) .. أرجو أن تكونوا قد تأكدتم من أن الأطفال قد ناموا وأن نافذة الحمام مغلقة ..

رفعت :

وأن الباب موصد بإحكام .. وأن تكونوا قد تفقدتم خزانة الثياب وألقيتم نظرة تحت الفراش .. فالأشياء التى لا تريدون أن تأتى تكون هناك دائمًا ..

شريف :

لا تثر ذعرهم يا د. (رفعت) ..

رفعت :

كل أطفال أوروبا وأمريكا يتحدثون عن (رجل الخزانة) .. فكل طفل هناك يذكر شعوره حين نام وحيدًا فى حجرته للمرة الأولى ، وراح يرمق خزانة الثياب فى جزع متوقعًا أن هناك من ينتظر فيها ..

شريف :

وصلتنى مكالمات هاتفية عديدة بخصوص حلقة

الأسبوع الماضى .. يقولون إن تحوّل إنسان إلى ذئب عندما يكتمل القمر أمر سخيف .. وإن هذا البرنامج هو فريسة سهلة لمجموعة من مؤلفى القصص والكاذبين وهواة التمثيل ..

رفعت :

لا أدرى .. أنا لم ألق مذءوبًا حقيقيًا حتى اليوم ..

شريف :

لكن الذنب ليس ذنبنا .. فنحن نفترض الصدق فى كل من يتصل بنا .. والمستمع هو من يمدّ آلة الرعب بوقود القصص حتى تعمل ولا تتوقف أبدًا ..

رفعت :

للمرة المليون ! إن لك مزية مهمة يا (شريف) هى الإصرار .. مع عجز تام عن الشعور بالحماقة ..

شريف :

أشكرك ..

رفعت :

إن الذين لا يخشون أن يبدوا سمجين لهم قوم جديرون بالاحترام .. ولهم الأرض بما عليها ومن عليها ..

(رنين الهاتف) ..

هو ذا زبون الليلة ..

شريف :

آلو .. هنا برنامج (بعد منتصف الليل) .. من يتحدث ؟

صوت رزين :

هل الكهل (رفعت إسماعيل) معك ؟

شريف (مندهشًا) :

يبدو لى الصوت مألوفًا .. إن د. (رفعت) معى .. لكننا نحافظ على الكلفة يا سيدى ونحرص على الألقاب .. فهلا تجنبت النعوت التى تدنو من الإهانة ؟

الصوت :

أليس كهلاً ؟ ولكنك قوى الملاحظة يا أستاذ (شريف) .. إن نبرات الصوت واضحة تمامًا .. قل شيئًا يا د. (رفعت)..

رفعت :

ماذا أقول ؟ إن بلاغتك تكفى شعبًا من البكم ليُشفى للأبد ..

شريف :

ذات الصوت ! أنتما تملكان ذات الصوت بذات المقاطع ! من أنت يا سيدى ؟

الصوت :

أنا د. (رفعت إسماعيل) !

شريف :

ونفس الاسم أيضًا ؟ إنها لمصادفة !

الصوت « سنسميه (رفعت إسماعيل) تمييزًا له عنى » .

بل أنا هو .. أنا مجموع الصفات والعلامات والطباع التى اصطلح على تسميتها (رفعت إسماعيل) ..

رفعت :

هذا مثير ! إن المرء لا يتلقى مكالمة من نفسه كل يوم .. وماذا أكون أنا إذن يا د. (رفعت إسماعيل) ؟

رفعت إسماعيل :

لا أدرى .. كل ما أعرفه هو أننى (رفعت إسماعيل) ..

شريف :

لحظة .. إن اسم (رفعت إسماعيل) شائع حقًا .. ومهنة الطبيب شائعة تمامًا .. إن الأمر مصادفة طريفة لا أكثر ولا أقل ..

رفعت إسماعيل :

حسن .. لنقل من أنا .. لنعرف ما أعنيه بالضبط ..

أنا د. (رفعت إسماعيل) ابن قرية (كفر بدر) بمحافظة الشرقية .. توفى أبى فى الصغر ورحلت مع خالى إلى المنصورة .. ثم درست الطب فى (القاهرة) ..

وسافرت فى بعثة دكتوراه إلى (أسكتلندا) .. وعدت من هناك لأنشئ وحدة أمراض الدم بالكلية ..

شريف :

هذا تاريخ سهل يعرفه كل من يعرف د. (رفعت إسماعيل) ..

رفعت إسماعيل :

لى أخ يُدعى (رضا) متزوج من امرأة متسلطة تدعى (نجاة) ، وأخت تدعى (رئيفة) زوجها يدعى (طلعت) .. أعز أصدقائى فى الإسكندرية ويُدعى (عادل) .. وقد خطبت شقيقة زوجته (هويدا) لفترة .. ولى جار يُدعى (عزت) ـ مثَال ـ وسرّ فشل علاقتى مع الأنثى هو انعدام ثقتى بقدرتى على أن أتحمل شريكًا لحياتى .. دعك من حبٍ متغلغل فى نفسى لفتاة إنجليزية تدعى (ماجى) .. هل هذا كاف أم أتحدث عن الكاهن الأخير (هن ـ تشو ـ كان) الذى ؟

رفعت (فى عصبية) :

كفى !

شريف :

هل هذا الكلام صحيح يا د. (رفعت) ؟

رفعت (متوترًا) :

للأسف صحيح .. وبعضه لا يدرى به أحد سواى .. إنه جزء من أعمق أعماق ذاتى .. إننى .. إننى .. لا أدرى حقًا .. هـ .. هذا الرجل يعرفنى كنفسى !

رفعت إسماعيل :

لأننى أنت يا د. (رفعت) ! هذا كلام واضح ..

شريف :

ما هو الشيء الواضح هنا ؟ أنت مجردهاوٍ لتقليد الأصوات يا سيدى تحاول التسلية ..

رفعت إسماعيل :

حسن .. إن فصيلة دمى (B) .. ولدىّ قرحة مزمنة وربو شعبى وضيق فى الشريان التاجى الأمامى بسبب الإفراط فى التدخين .. ولدىّ وحمة حمراء فى جدار البطن .. و .....

رفعت (مستسلمًا) :

الأمر واضح .. هذه الصورة الشمولية لا يعرفها أحد من معارفى وأقاربى .. كل واحد منهم يعرف جزءًا صغيرًا منها .. إن أخى لا يعرف حكاية شريانى التاجى .. بينما (عزت) جارى لا يعرف اسم أخى ولا اسم زوجته .. ولا أحد يعرف (ماجى) سوى

(عادل) .. لكن (عادل) لا يعرف شيئًا عن الكاهن الأخير(*) ..

شريف :

ومعنى هذا ؟

رفعت :

معناه أن المتكلم هو (رفعت إسماعيل) حقًا ..

شريف :

ومن تكون أنت إذن ؟

رفعت :

سؤال غريب ! أنا (رفعت إسماعيل) طبعًا ..

شريف :

هل لك أخ توءم متماثل ؟

رفعت :

لا أخ لى سوى (رضا) .. وعلى كل حال لا أحد يسمى التوائم بنفس الاسم ..

شريف :

إذن .. ما معنى ما يحدث ؟

(*) فى هذا الوقت لم يكن (رفعت) قد نشر أية قصة له من التى يعرفها قراؤنا ..

رفعت :

لا أدرى .. ربما كان د. (رفعت إسماعيل) هذا كريمًا بما يكفى كى يفسر لنا معنى هذا كله ..

رفعت إسماعيل :

الأجدر بك أنت أن تقدم هذا التفسير لى .. فهأنذا جالس فى دارى أستمع إلى المذياع ثم أجد من يتحدث باسمى وصوتى .. تجدنى فى غاية الدهشة ..

شريف :

لكن لحظة .. أنا واثق من أن من أمامى هو د.(رفعت إسماعيل) بشحمه ولحمه ـ إن كان يملك شيئا غير العظام ـ ولن أصدق أنه نصاب .. لقد تقابلنا مرارًا .. وهو من يردّ على الهاتف حين أطلبه .. وهو من توجد صورته فى بطاقته الشخصية .. إذن هذا هو من اصطلح القوم على تسميته د.(رفعت إسماعيل) ..

رفعت إسماعيل :

هذه ـ لعمرى ـ قضية فلسفية مهمة : ما هو الدليل على كينونتى ؟ ما الذى يجعلنى أنا ؟ هناك (رفعت) يعرفه المستمعون .. وواحد يعرفه طلبته .. وواحد يعرفه أصدقاؤه .. وواحد يعرفه هو نفسه .. فمن بين كل هؤلاء هو العجوز (رفعت إسماعيل) ؟!

رفعت :

أنا كل هؤلاء معًا .. على كل حال لا يوجد سوى حلّ واحد لهذا الإشكال .. هو أن نلتقى ..

رفعت إسماعيل :

مستحيل ..

رفعت :

آها ! هو ذا التراجع .. إذن أنت مجرّد نصاب عبقرى ..

رفعت إسماعيل :

لا أعنى هذا .. الأمر ـ ببساطة ـ هو أن لقاءنا مستحيل .. لأننا نفس الشخص .. لكننا جانبان منفصلان متناقضان ..

رفعت :

هل تعنى أننا شخصية مزدوجة ؟ ربما كنت أحمل بذور الجنون فى روحى .. لكن ـ مهما بلغ الجنون من تفاقم ـ لم ير العلم الشخصية الأخرى تغادر الجسد لتعمل مستقلة .. إنه أمر شبيه بأن يغادر أنفك وجهك ليتنزه ثم يعود إليه !

رفعت إسماعيل :

هذا هو المفترض .. لكن ـ فى ظروف غير مفهومة ـ لم نعد ذات الشخص ..

شريف :

لا أفهم كل هذا الجدل الميتافيزيقى .. إن هذا المزاح .....

رفعت :

لحظة يا (شريف) .. أستطيع فهم ما يريد هذا المعتوه قوله .. إن كلاً منا ليس شخصًا واحدًا .. أحيانًا أنت قاس شرير كالشيطان .. وأحيانًا أنت رقيق كملاك .. أحيانًا أنت واهن كطفلة رضيعة .. وأحيانا أنت أقوى من (طرزان) ..

وفى كل لحظة من حياتك تلعب إحدى هذه الشخصيات الدور الأكبر .. وفى ظروف معينة ـ كالتى يزعمها هذا الأخ ـ قد تتحرر شخصية من الشخصيات العديدة لتمارس حياة مستقلة ..

رفعت إسماعيل :

تمامًا كما تقول .. لست غبيًا جدًا يا د. (رفعت) ..

شريف :

إذن فهذا الأخ يمثل الجانب الإيجابى المندفع الوقح قليلاً فى شخصيتك يا د. (رفعت) .. لكن كل هذا عسير على التصديق ..

رفعت :

بالطبع .. لهذا أرجح أن هذا الرجل نصاب يجيد

تقليد الأصوات .. وأقترح إنهاء المكالمة حالاً ..

رفعت إسماعيل :

مازلت تكابر .. ألم تقل منذ ثوان إنه من المستحيل أن أعرف كل هذا عنك ؟



رفعت :

إن الشخص الذى يعرف (رضا) و (عزت) و (ماجى) و (عادل) لقادر على تجميع محاور حياتى واستنباط قصة كاملة ..

رفعت إسماعيل :

ومن هو هذا الشخص الذى يعرف كل هؤلاء ؟

رفعت :

حسن .. لنفترض أنك محق .. فماذا تريد يا سيد (رفعت) ؟ لا أظن أنك تعشق الثرثرة ..

رفعت إسماعيل :

لا أريد سوى وضع الأمور فى نصابها .. ليس (رفعت إسماعيل) الذى يلتقى به البرنامج هو (رفعت إسماعيل) الوحيد ..

رفعت :

حسن .. لنرتب أفكارنا .. يمكن أن أفترض أنك قريبى ؟

رفعت إسماعيل :

بالطبع لا ..

رفعت :

ذات مرة حدث شىء مماثل مع كهنة (الفودو) فى (الكاريبى) ، وقد استطاعوا الحصول على صورة مجسدة إكتوبلازمية لى من عويناتى التى حصلوا عليها .. نسخة متقنة منى ..

رفعت إسماعيل :

لا أدرى أهذا ممكن أم لا .. لكنه ليس الحال هنا ..

رفعت :

هل أنت من شعب الأطياف ؟ (آشتا) آخر ؟

أو ربما أنت آت من عالم مواز كالذى تحدث عنه (سالم) و(سلمى) يومًا ما ؟ ربما أنت نسختى على ذلك الكوكب .. أو أنت نسخة جينية (كلون) صنعها أحدهم من إحدى خلايا جسدى .. إن كتاب الخيال العلمى قد قتلوا هذا الموضوع كتابة ..

رفعت إسماعيل :

لماذا تخلط الأمور ؟ لقد استعرضت كل الاحتمالات الممكنة وغير الممكنة .. والمعقولة والشاذة .. لماذا لا يكون الحل الوحيد هو أننى أنت ؟

رفعت :

دعك من الفلسفة .. وقل لى .. ربما أنت توءم سيامى كان فى جسدى وانتزعوه منى فى الصغر ليغدو شخصًا آخر كامل النمو .. ويشبهنى فى كل شىء ..

رفعت إسماعيل :

أنت إنسان غريب التفكير حقًا .. قلت لك حلاً بسيطًا ..

رفعت :

حسن .. أشكرك على إبلاغك لى أننى اثنان ولست واحدًا .. هل يمكننا إذن إنهاء هذا السخف ؟!

رفعت إسماعيل :

حسن .. أقترح أن نحلّ هذا الإشكال بطريقة

متحضرة .. واحد فينا فقط يملك الحق فى الحياة .. فالحياة لا تتسع لاثنين (رفعت إسماعيل) على ما أظن ..

رفعت :

لم لا ؟ إن شقتى واسعة .. وطعامى وفير ..

رفعت إسماعيل :

هذا هو الإشكال الحق .. فأنا أرى أن هذه شقتى وطعامى أنا .. ولا أحب المزاحمة .. ثم من منا يملك الحق فى العمل والحبّ والحياة عمومًا ؟ لو أننا أردنا الزواج من (ماجى) مثلاً .. فمن هو الذى سيتزوجها بالضبط ؟

رفعت :

أرى وجهة نظرك ..

رفعت إسماعيل :

لهذا كله سأحرص على أن أجعلك ترانى وتواجهنى .. سيكون موعدنا غدًا فى دارى ـ أو دارك كما تشاء ـ ولحظتها ستدرك ما أعنيه حين تحدثت عن كوننا ذات الشخص ..

شريف (فى عصبية) :

لكن كل هذا هراء .. إن حديثكما يوشك أن يكون حديث معتوهين فى مصحة أمراض عقلية ..

رفعت :

ربما .. لكننى لا أبذل أى جهد فى هذا الهراء .. هذا الأخ هو من اتصل وهو المطالب بإثبات صدق ما يزعم .. ثم هو قد قال منذ ثوان إنه لا يستطيع مواجهتى لأنه أنا .. الآن يؤكد أن المواجهة ممكنة .. وأنا أحب المتناقضين لأنهم يشعروننى بقوة مركزى ..

رفعت إسماعيل :

ستتحدث عن القوة حين نلتقى .. لكن لتعلم أننى لا أمزح .. إن لقاءنا سيكون نوعًا من المبارزة تنتهى بانتهاء وجود أحدنا .. ويخلو المكان للآخر تمامًا .. وبهذا أسعد .. ولهذا قلبى يطرب ..

رفعت :

هل أحضر شهودى ومسدسى إذن ؟

رفعت إسماعيل :

ليس هذا محتومًا .. هناك أنواع عديدة من المبارزات ، ولسوف ترى كيف تكون مبارزتنا هذه .. هادئة لكنها فعالة ..

رفعت :

حسن .. سأعدّ لك غداءً شهيًا .. إن المرء لا يلقى نفسه كل يوم كما تعلم ..

رفعت إسماعيل :

بل أنا من سيعدّ الغداء .. أنسيت أنها دارى أنا ؟ والآن وداعًا أيها الشيخ .. (يضع السماعة) ..

رفعت :

وداعًا .. وبالمناسبة .. أنا كهل ولست شيخًا بعد ..

شريف :

هل ستفسر لنا الآن معنى كل هذا ؟

رفعت :

لو كان لدىّ تفسير لقلته .. لكنى غدًا أعرف كل شىء .. لكن هل لاحظت عبارة (به أسعد ، وله قلبى يطرب) فى كلامه ؟ عبارة غريبة التركيب حقًا .. وقد سمعتها من شخص واحد فقط كان يقرأ أوراق (التاروت) .. وكان يدعى د. (لوسيفر) ..

كان د. (لوسيفر) قارئ أفكار محترفًا .. أعترف له بهذا .. لكنه كان كذلك شيطانًا زنيمًا .. وأعتقد أنه كان يمقتنى حقًا ..

شريف :

هل تعتقد أنه هو من .. ؟

رفعت :

لا أدرى .. لكن د. (لوسيفر) هو الوحيد الذى

يستطيع معرفة كل ما أعرفه عن نفسى .. وإننى لأتساءل .....

شريف :

هل ستحكى لنا ما سيحدث غدًا ؟

رفعت :

بالتأكيد .. هذا بالطبع لو ظللت أنا أنا .. من المستحيل معرفة من يجىء لكم فى المرة القادمة .. ربما أنا وربما (رفعت إسماعيل) هذا ..

ومن الواضح من الكلام أن تمييزنا مستحيل ..

شريف :

إن كل هذا يصيبنى بالدوار ..

رفعت :

أنا كذلك .. لكن عزائى الوحيد هو أننى سأعرف الجواب غدًا ..

شريف :

أما نحن فسنعرفه فى الحلقة القادمة ..

رفعت :

ولربما ظلّ سرًا إلى الأبد .. من يدرى ؟!

★ ★ ★

خاتمة

يقدمها : د. رفعت إسماعيل

وبعد .. لقد وصل الشريط إلى نهايته ، ولم يعد هناك سوى صوت دوران القرص بعد ما خمدت الأصوات الأخرى ..

هذه هي نهاية حلقة الرعب الثالثة ..

وقد سمعنا فيها ـ وربما استمتعنا كذلك ـ بعض الحلقات المختارة من هذا البرنامج ، الذى أعتقد أنه كان جيدًا .. لكنه توقف لأسباب يطول شرحها .. ليس شخصى من بينها لحسن الحظ ..

إن لدىّ كثيرًا من حلقات هذا البرنامج ـ حوالى سبعين حلقة ـ ربما أقدمها لكم يومًا ما ، لو شعرت بأنكم أحببتموها حقًا ..

لقد حاولت تنويع الحلقات التى اخترتها لكم هذه الليلة .. فتجنبت قصص مصاصى الدماء والمذءوبين والموتى الأحياء ..

قدمت لكم تنويعات على : تحضير الأرواح .. أكاذيب

الأطفال .. السحر الأسود .. أشباح [illegible] [illegible] لتملأ الحياة تعقيدًا .. بل والتشويق البوليسى [illegible] من الميتافيزيقا ..

ستكون المجموعة التالية من الحلقات مختلفة فى موضوعاتها .. بعضها أفضل من حلقات اليوم وبعضها أسوأ بالطبع .. لكنها جديدة تمامًا ..

لا أدرى متى أقدمها .. لكنها بالتأكيد لن تكون الحلقة الرابعة منعًا للإملال .. وحرصًا على تغيير القالب فى كل مرة ..

تسألوننى عما فعلته مع (رفعت إسماعيل) الآخر ..

يا له من سؤال ! بالطبع تلاقينا وكانت لنا قصة لا بأس بها .. لكنى سأقدمها لكم فى كتيب منفصل هو (أسطورة رفعت إسماعيل) .. وننتقى به ـ بعون الله ـ فى الكتيب الثانى والثلاثين ..

وماذا عن حلقة الرعب التالية ؟

لم أعرف بعد كيف ستكون .. لكنها بالتأكيد مختلفة وجديدة .. بها عدد لا بأس به من الأشباح و[illegible] الحانقين .. والصناديق المغلقة على سر مريب .. والفتيات اللواتى تغطى القشور سيقانهن .. والأطفال

الباكين الذين تعرف بعد قليل أنهم ماتوا منذ أعوام ..

والقبور المفتوحة .. والموميـاوات التى تنـوى خراب بيت من يعبث بأكفانها ..

إن جعبة (رفعت إسماعيل) لا تفرغ أبدًا ..

(رفعت إسماعيل) الذى يعتبره البعض معتوهًا .. ويعتبره البعض نصابًا .. لكن الجميع يرونه مسليًا ..

كل هذا وأكثر تلقونه فى حلقة الرعب الرابعة ..

ولكن هذه حلقة أخرى .

د. رفعت إسماعيل

القاهرة

★ ★ ★

رقم الإيداع : ١٦٠٦

المطبعة العربية الحديثة

٨ و ١٠ شارع ٤٧ المنطقة الصناعية بالعباسية

القاهرة ـ ☎ ٢٨٢٣٧٩٢ ـ ٢٨٣٥٥٥٤